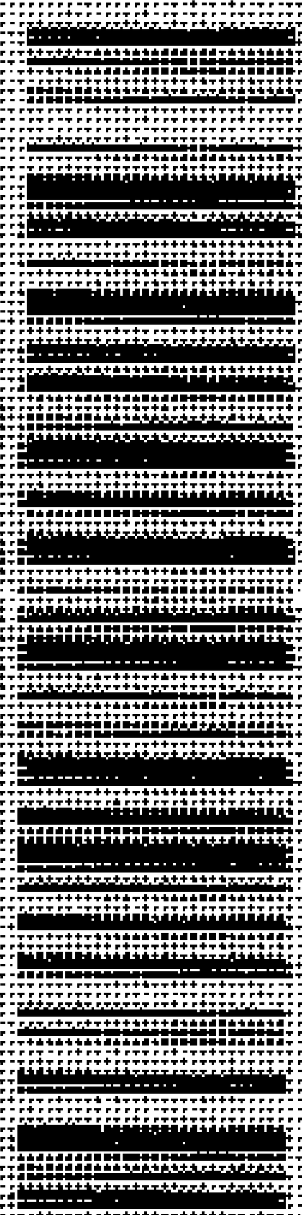
معركتنا مع اليهود

سيد قطب





دار الشروق

الطبعـة التاسـعة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الطبعـة العـاشرة

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الطبعـة الحادية عشـرة

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

الطبعـة الثانية عشـرة

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

القاهرة ١٦ شارع حواد حسنى - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤

برقيا شـروق - تلكـس 93091 SHROK UN

بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

برقيا داشـروق - تلكـس SHOROK 20175 LE

سيد قطب

معركتنا مع .. اليهود

دار الشروق

أيها الفدائيون ... امضوا في طريقكم *

«إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين . وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا ...» .

لقد آن أن نقولها للوزارة جاهرة قوية صريحة لا لُبس فيها ولا غموض ولا ابهام . لقد آن أن نقول لها : لا ! لن تخضع كتائب الفدائيين لحركة التطويق[1] التي تريدها الحكومة ! لا لن تحكم كتائب الفدائيين على نفسها بالإعدام لا لن يتخلى الفدائيون عن واجبهم بهذه السهولة . لا ولتصنع الحكومة ما تشاء فلم يعد الأمر أمر حكومة مقيدة بارتباطاتها الدولية ، مقيدة في تصرفاتها الرسمية ، تفكر بعقلية السلم في ابان المعركة ، وتشتغل بوسائل الدبلوماسيين ودماء المصريين وأعراضهم تنتهك في كل مكان .

إن الوزارة التي لا تزال تعتقد أننا في حالة سلم مع الإنجليز ، تقتضي بقاء التمثيل السياسي والقنصلي بين الدولتين ، وتقتضي بقاء العلاقات الاقتصادية العادية بين الدولتين ، وتقتضي تعاون البوليس المصري مع السلطات الانجليزية في تعقب الفدائيين وتفتيش الدور بحثاً عن السلاح المخطوف .

---

* نشر هذا المقال بتاريخ ٢٠/١١/ ١٩٥١ في جدة جريدة (الدعوة) وهي جريدة اسبوعية إسلامية كانت تصدر في القاهرة حتى عام ١٩٥٤ .

(١) وبعد ١٨ سنة تلتف حركة التطويق حول الفدائيين .

إن هذه الوزارة ليست هي التي تصلح لأن يسلمها الفدائيون أنفسهم وسلاحهم لتضعهم على الرف كما وضعت الجيش والبوليس أو لتكلفهم البحث للانجليز عن الأسلحة المخطوفة كما تكلف رجال البوليس .

أنا لا اتهم هذه الوزارة بالخيانة ولكني أقرر الواقع . أقرر أنها ليست وزارة الكفاح . انها لا تزال تفكر بعقلية المفاوضة والمحادثة والدبلوماسية . انها تريد الاكتفاء بالمذكرات والاحتجاجات والمقاومة السلبية !

وأنا لا أطلب إلى الوزارة أن تعلن الحرب ، ولا أن تدفع بالجيش إلى المعركة في هذه الظروف ، ولكني أطلب اليها أن تدع الشعب يؤدي واجبه ، وإلا فسيؤدي الشعب واجبه سواء رضيت هذه الوزارة أم كرهت . سيؤدي الشعب واجبه سواء كانت هذه الوزارة معه أو عليه . وعليها هي تقع تبعة الحرب الأهلية التي تثيرها لو شاءت أن تقف في طريق الشعب وأن تحول بينه وبين واجبه المقدس في أحرج الظروف .

إنني أعرف أن الوضع الإقطاعي الذي تقوم هذه الوزارة في ظله يكره للشعب أن يحمل السلاح ويكره للشعب أن يتدرب على خوض معارك التحرير . إن الاقطاع يرتجف خيفة أن تتحرك عجلة الشعب حتى لمكافحة العدوان الخارجي – لأن هذه العجلة لن تقف بعد ذلك ولن تكف حتى تحقق الحريات جميعاً .

إنني أعرف أن الاقطاعيين يفكرون بهذه العقلية ، وهم لهذا يرتجفون من الشعب ومن حركات الشعب ومن تسلح الشعب .

إنني لا أريد أن اتهمهم اليوم بالخيانة ، ولكني أقرر الواقع أقرر أن الخوف من الشعب هو الذي يحرك الوزارة لتطويق الفدائيين وتطويق كتائب التحرير .

وأصرخ في الشعب وفي شبابه الفدائي أن يحترس ، ولا يكف عن أداء واجبه المقدس تحت أي ضغط .

فإن شاءت الوزارة أن تسمع النذير وأن تدع الشعب في كفاحه ، وأن تكف عن تطويق الفدائيين كان لها الشكر ، وكان لها العذر . فليس فينا من يطلب من الوزارة فوق ما تطيق .

ليس فينا من يقول للوزارة اعلني الحرب اليوم قبل استكمال العدة[1] ولكننا نهيب بها . حذار أن تقلمي أظفار الشعب ، حذار أن تطوقي حركة الكفاح الشعبي . إن الأمة بالمرصاد وإن الفدائيين هنا !

إنني أقولها وأنا أعرف ما أقول إن الحركة الفدائية اليوم أقوى من الحكومة ! انها لن تسلم أنفاسها من هدوء واستكانة .

إنها ستجاهد الانجليز ، وستقتل الانجليز ، وستمنع التموين عن الانجليز ... فإذا شاءت الوزارة أن تفسح لها الطريق كان بها . وإلا فستريد الحركة الفدائية لإزالة العوائق وتطهير الطريق .

إنني أقولها وأنا أعرف ما أقول . أقولها وأنا اشفق وأفزع من تصور العواقب الوخيمة لو تصدت الحكومة للفدائيين ، ولو حاولت أن تطبق قانون حمل السلاح كما توعدت .. انها عواقب مفزعة ، ولن تمر بسهولة . ان الحركة الفدائية مصممة على العمل . والويل لمن يقف في طريقها !

وتستطيع الحكومة أن تستولي على الكتائب الظاهرة كتائب الطبل والزمر والاستعراضات في الشوارع والميادين . فهذه الكتائب لا قيمة لها ولن تخسر الأمة شيئاً بانضمامها إلى الحكومة ...

أما الفدائيون الحقيقيون . الفدائيون الذين لا يعلنون عن أنفسهم ولا عن

---

(١) استكمال العدة ! ! ! تلك كانت تعلة الملكيين في النكوص عن الجهاد وهي كذلك تعلة المعاصرين !

اسمائهم ولا عن أماكن تجمعهم وتدريبهم . الفدائيون الذين لا يعلنون عن.. يعملون بلا أمجاد ولا ألقاب ولا أوسمة . الفدائيون الذين وهبوا أنفسهم لهذا الواجب المقدس فهم ماضون في طريقهم . وهؤلاء لن يسلموا أنفسهم للحكومة ولن يسمحوا لها بتطويق حركتهم الخالصة لله والوطن . ولن يقفوا كذلك مكتوفي الأيدي أمام أية قوة تحاول أن تطعنهم من الخلف في أحرج الظروف .

إنني أقولها نصيحة للحكومة كواجب وطني ، يحتم عليّ أن أنصح الحكومة ، لا لمصلحتها هي ولكن لمصلحة هذا الوطن الذي يجوز أن تمزق قواه ، ولا أن ندعه يحارب في جبهتين .

إن محاولة تطويق حركة الكفاح الشعبي باسم التنظيم وباسم ابعاد العناصر المشاغبة ، هي حركة مكشوفة لا تخفى أهدافها على بصيرة هذا الشعب اليقظ .

وسيكون لها رد فعل شنيع لا يحتمل تبعاته ضمير نظيف أما أنتم أيها الفدائيون فامضوا في طريقكم . لا تلقوا بالاً إلى محاولة التطويق لحركاتكم البريئة . ولا تلقوا بأسلحتكم في وسط المعركة .

أمضوا في طريقكم تقاتلون في سبيل الله فتقتلون وتقتلون .

أمضوا في واجبكم المقدس تطهرون الوادي من أرجاس القراصنة .

أمضوا في طريقكم عاصفة تدمر كل شيء بأمر ربها . تدمر الاحتلال وأوتاده وأعوانه .

أمضوا في طريقكم تطلبون الموت فتوهب لكم الحياة أو توهب لكم الشهادة . فلكم احدى الحسنين على كل حال .

«ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون» .

مَاذا صَنعتم لأبطَال فلسْطِين؟ *

تطلعت وأنا أستعرض قوائم الترقيات الطويلة العريضة لضباط الجيش . وأنا أتصفح أرقام الميزانية الضخمة لوزارة الدفاع وأنا أراجع الاعتمادات الإضافية بعد الميزانية الضخمة . تطلعت لأقرأ خبراً صغيراً أو أطالع اشارة عابرة إلى الأبطال الذين جادوا بأرواحهم وتركوا من خلفهم ذرية ضعافاً ونساء ايامى ، وأمهات ثواكل .. فلم أعثر لهؤلاء الأبطال على أثر ولا خبر .

علام يدل هذا ؟ انه يدل على أن روح (سبنكس) باشا مفتش الجيش الانجليزي هي التي تضلل جيش مصر في عهده الحالي . وأنه يدل على أن روح المندوب السامي الإنجليزي هي التي تضلل جيش مصر في عهده الحالي . وأنه يدل على أن روح المندوب السامي الانجليزي هي التي تسيّر دولاب الحكومة .

إنه يدل على أن الانجليز البيض يوم غادروا الادارة الحكومية في مصر لم يتركوا مكانهم خالياً .

فقد تركوه للانجليز السمر . الذين يقومون مقامهم ويغنون غناءهم ويتقنون مهنهم ويحققون أهدافهم في وفاء كامل وفي أمانة واخلاص ! !

لقد كانت وظيفة الانجليز الأولى في هذا البلد هي قتل الروح المعنوية .

---

* الدعوة ٢٥/ ٩ / ١٩٥٣ .

هي بذر بذور اليأس والضعف والقنوط في نفس هذه الأمة . هي الإيماء الدائم لهذا الشعب بأنه يستحيل أن يصنع شيئاً لأنه غير قادر على شيء . فخير له أن ييئس وينطوي على ذاته ويرضى بما هو كائن . وبما يريده السادة المستعمرون .

وكان جهد الانجليز الأكبر يتوجه إلى قتل الروح الحربية لأنهم يدركون جيداً أن يقظة هذه الروح هي الخطر الأكبر الذي يتوعدهم ويتهددهم . ان الخطب والمقالات والهتاف والتصفيق وتمزيق الحناجر من الصياح والأكف من الحماسة . ان هذا كله لا يهز قواعد الاستعمار الانجليزي ، فلا على المصريين أن يكتبوا ويخطبوا ، ولا عليهم أن يصفقوا ويهتفوا .. أما أن تستيقظ الروح العسكرية في نفوسهم فذلك هو الخطر الحقيقي الذي يدرك الانجليز قبل غيرهم أنه الخطر الوحيد والخطر الأكيد .

لذلك حرص الانجليز على إبقاء جيش مصر ضعيفاً . وكذلك عنوا بأن تستحيل الخدمة في الجيش كارثة منفرة . ولذلك قرروا أن يقسموا الجيش طبقتين لا تلتقيان أبداً . فعزلوا طبقة الضباط في الجيش عزلاً تاماً عن طبقة الجنود .

أغدقوا على الضباط وميزوهم حتى عن جميع طبقات الموظفين من أمثالهم في الدولة كلها . وبخلوا على الجنود حتى صارت مرتباتهم أحط مرتبات لنظائرهم في العالم وانتقوا الضباط من أوساط ارستقراطية خاصة وجعلوا ضريبة الدم في الجنود مرادفة لانحطاط البيئة وفقرها وعجزها عن البذل النقدي . ثم جعلوا من الجنود عبيداً يخدمون الضباط حتى في البيوت . هذه الشناعة التي لا يعرفها جيش من جيوش العالم .

لقد انصرف هم الانجليز إلى أن تكون الخدمة العسكرية كارثة — كارثة تصيب الأسرة التي تحل النقمة عليها فيجند أبناؤها — كارثة تنتزع

الشاب الفقير وحده من بيته الذي يعوله بكده وعرق جبينه . ليترك من خلفه زوجه وأولاده وفي كثير من الأحيان أباه الشيخ وأمه العجوز ليتركهم خمس سنوات كوامل بلا مورد ولا عوض .

فرتبه المؤلف من الملاليم الحقيرة لا يسمح له بأن يمدهم منه بشيء .. يتركهم خمس سنوات كاملة يقضيها في ذل وعذاب ومهانة تظل أبداً في ذاكرته ذكرى مريرة وفي خياله نقطة مظلمة .

لقد أحال الانجليز الخدمة العسكرية الشرقية الكريمة مذلة وعاراً وخراب بيوت وتحطيم أسر ونكبة يتوقاها الناس وتقترن في خيالهم دائماً بذكريات الشقاء والتعاسة والمهانة . أما رواتب الضباط الضخمة فقد كان هدفها في ذلك النظام :

أولاً : ايجاد قوة ضخمة بين ضباط الجيش وجنوده .

ثانياً : استنفاذ ميزانية الجيش فلا يبقى منها شيء للتسليح .

ثالثاً : اغراق ضباط الجيش في الترف فلا يعرفون حياة الخشونة العسكرية .

رابعاً : اثارة حرصهم واشفاقهم من فقدان هذا النعيم إذا جد الجد ودعاهم الواجب وأراد منهم الوطن أن يكونوا في صفه ضد من أغدق عليهم الأموال ويوفرون لهم الترف والمتاع .

ولقد حسب الانجليز انهم أفلحوا . انهم قضوا على الروح العسكرية في هذا الشعب قضاء لا رجعة فيه .

إن الجندية باتت «الغول» التي تنفر منه فطرة الشعب وترجف لهوله العائلات والبيوت ، ويفر منه الأفراد فرارهم من الذل والمهانة والخراب .

ولكن فطرة هذه الأمة كانت أقوى وإيمان هذه الأمة كان أعمق . لقد انبثق في الأرواح نور جديد لم يحسب الانجليز حسابه . أو أنهم قد

حسبوا وخانهم الحساب . لقد اتقدت شعلة الإسلام من جديد في قلوب الفئة المؤمنة . لقد ظهر «الاخوان المسلمون» في الوجود يحملون الشعلة المقدسة .. لقد بطلت المكيدة التي أحكمها الاستعمار ستين عاماً . لقد انبعث المجاهدون الذين باعوا أنفسهم لله . لقد تقدم المتطوعون الذين لا يؤخذون من بيوتهم غصباً ، إنما يقدمون أنفسهم عن طواعية . لقد انقلب المكر السيئ كله ما بين غمضة عين وانتباهتها .. ولئن سارت الموجة في طريقها فلتجرفن اذن كل ما دبر الانجليز من مكيدة وكل ما أقام الانجليز من سدود ، ولتسترجعن هذه الأمة روحها العسكرية المجيدة . ولتستوثقن من قدرتها على تحطيم الاستعمار ، وماذا وراء التطوع الفدائي إلا النصر ؟ وماذا وراء التضحية الفدائية إلا الخلاص ؟ إلا انها الطاقة الكبرى التي تزلزل الاستعمار من أساسه فلا تقوم له بعد ذلك قائمة أبداً .

يجب اذن أن تحطم كتائب الاخوان المسلمين تحطيماً يجب اذن أن توأد روح الفداء والتضحية في هذه الأمة . يجب أن يطمس هذا النور الذي أضاء الطريق .

يجب أن تخبو هذه الشعلة التي أوقدها الإيمان ، يجب أن تقاد الأمة إلى اليأس الهامد والقنوط والظلام . وقبل كل شيء يجب أن تتحالف القوى جميعاً على سحق قوة الجيش المصري الناشئ في فلسطين حتى إذا عادت فلوله ووراءها البيوت المنكوبة والعائلات الثكلى كان هنالك مجال للعمل [1] وذاقت هذه الأمة درساً لا تنساه .

هنا وجد الانجليز السمر ما يصيغونه . فهذه الأسر التي خلفها الشهداء .

(١) العمل لاشاعة روح الانهزام في الأمة ورفع الأيدي بالتسليم للانجليز امس أو لليهود اليوم اعتمادا على واقع ملموس صنع قصداً .. واقع جيش مهزوم .

هؤلاء الأطفال والنسوة والثكالى . هؤلاء جميعاً يجب أن تحل بهم نقمة الاهمال يجب أن يصبحوا مثلاً وعبرة لمن تحدثه نفسه يوماً إلى أن يؤدي ضريبة الدم . يجب أن يرى فيهم الشعب مثلاً رهيباً يقتل النخوة والمروءة والنجدة واليوم نسمع ونرى ، اليوم نسمع عن المآسي واليوم نرى ما يذيب القلوب حسرة ، واليوم نشهد من إهمال السلطات ما ينطق بأن روح سبنكس ما تزال تسيطر على الجيش ، وروح المندوب السامي ما تزال تعمل في الدولة . واليوم نقرأ قوائم الترقيات وأرقام الميزانية . فنعرف أن السياسة هي السياسة وأن الأهداف هي الأهداف .

واليوم نتلفت لنقرأ شيئاً عن الشهداء الأبطال وما صنعت الدولة لمن تركوا من خلفهم من ذرية ضعافاً ، ومن أرامل وثكالى فلا نجد من ذلك كله شيئاً لأن الانكليز السمر يتغذون بأمانة سياسة الانجليز البيض .

واليوم يجيء دور الأمة لترد على تلك السياسة اللئيمة ، اليوم يجيء دور الأمة لتثبت وجودها ، اليوم يجيء دور الأمة لتعلن أن الشعلة المقدسة التي أضاءها الله لن يطفئها إنسان .

إن روح المندوب السامي هي التي تعمل اليوم في دور الحكومة . وأن روح سبنكس باشا هي التي تسيطر اليوم في الجيش . فيا أيتها الأمة أين روحك أنت ؟ ويا أيها الشعب أين وجودك ؟

إن « الباشوات » في مصر يتبرعون لفرنسا أنهم ليسوا من مصر وليسوا لمصر . أما أنت أيها الشعب فلتعرف طريقك . لتعرف شهداءك وأبطالك ، لتقل للانجليز السمر وسادتهم من الانجليز البيض نحن هنا . ونحن نؤدي واجبنا .

وليكن دورك أيها الشعب مزيداً من الثقة ومزيداً من التضحية ومزيداً من البطولة . إن يومك آت وفرصتك آتية . يوم تقذف بالانجليز البيض

وراء الحدود وتقيم للانجليز السمر «محاكم الشعب» و«لنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا اليه راجعون . اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» .

صدق الله العظيم

سباق إلى التضحية والفداء*

هذا الشباب الذي يتزاحم على أبواب الأحزاب والهيئات في هذه الأيام كما يتدافع السيل وراء السدود .. على أي شيء يتزاحم وإلى أي مغنم يقصد ؟ وماذا هنالك وراء الزحام والسباق ؟

لقد رأيت هذا الشباب ، رأيته في كل مكان رأيته يتدافع ويتزاحم حتى يتساقط حاجز السُلّم تحت ضغط المئات والألوف .

ورأيته في دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين صفوفاً وراء صفوف ، تنتظر وتتململ وقد طال بها الانتظار .

أما دور الاخوان المسلمين فلها نظامها الخاص في استقبال الشباب وتدريب الشباب وهي تزخر بالقدامى والمحدثين فيهم في هذه الأيام .

على أي شيء يتزاحم هذا الشباب ، وإلى أي مغنم يقصد وماذا هنالك وراء الزحام والسباق ؟

إنه لا يتزاحم على عرض من أعراض الدنيا إنه لا يقصد مغنماً من مغانم الأرض ، إنه لا يتسابق إلى حفل أو عرس . انه يتزاحم على الموت ويقصد إلى التضحية ويتسابق إلى الفداء .

إنه يلبي داعي الوطن في ساعة العسرة وهتاف الحرية في المعركة الكبرى ونداء الواجب في أحرج الظروف .

---

* الدعوة ١٣/١١/ ١٩٥١ .

إنه يهب الحياة ويهب المال ويهب المستقبل ويهب الآمال ويهب اللذة ويهب الدنيا كلها وما فيها .

إنه يعطي كل شيء ولا يأخذ ، وشد ما شكت مصر ممن يأخذون كل شيء ولا يعطون . انه يبيع كل شيء ولا يشتري . وشد ما شكت مصر من الذين يشترون ولا يبيعون . انه يعوض هذا الوطن عن جحود الجاحدين ، وهزل الهازلين وتقصير المقصرين .

إنه يسير في الطريق الذي سلكه الأحرار في كل مكان وفي كل زمان طريق الحرية طريق المجد طريق الخلاص .

ان تدافع هذا الشباب وتزاحمه على أبواب الأحزاب والهيئات لينخرط في سلك كتائب التحرير لدليل أي دليل على مطلع فجر جديد في حياة هذه الأمة التي جاهد الاستعمار سبعين عاماً كاملة ليخمد في روحها جذوة الحرية وليميت في ضميرها روح التضحية وليعلمها كراهية الجندية والحياة العسكرية ثم إذا هي تنتفض في لحظة واحدة فتنفض عن روحها كل ما تعب الاستعمار في أن يراكم عليها من أثقال .

لقد وجه الاستعمار قواه كلها لقتل روح الجندية في هذا الشعب وسلك إلى هذه الغاية شتى السبل . سلك اليها نظام التجنيد الذي كان يجعل ضريبة الدم وقفاً على الطبقات الفقيرة العاجزة المحتاجة إلى سواعد أبنائها من أجل القوت .

كي يدع هذه البيوت خراباً ، ويربط في أذهان هذه الطبقات بين التجنيد والخراب والذل والجوع !

وسلك إليها طريقة معاملة المجندين في الجيش بعد ما جعل الضباط من بيئة غير بيئة الشعب . وجعلهم يعاملون المجندين كما لو كانوا عبيداً أو بهائم .

وحرص الاستعمار على أن يقتل في نفوس المجندين كل إحساس بالعزة الوطنية ، وكل إحساس بالكرامة الإنسانية وكل غيرة على العرض والشرف وسائر المقدسات .

ولقد بلغ من إجرام هذا الاستعمار انه حرص حرصاً شديداً على إفساد أخلاق الطلبة في المدارس الحربية . وإفساد أخلاق المجندين في الجيش . كي يقتلوا في نفوسهم كل غيرة على العرض وإذا هان العرض فقد هان الوطن وهانت الكرامة وهانت المقدسات التي تدافع عنها الجيوش .

وذلك فوق ان اساءة معاملة المجندين ، وما يرونه بعد خروجهم من القسوة التي تعرضوا لها والمهانات التي خضعوا لها والبذاءات التي ذاقوها . كان وحده كفيلاً بكراهية الجندية والفزع من شبح التجنيد . في أوساط الشعب الذي يدفع وحده الضريبة كل هذا بذله الاستعمار خيفة اليوم الذي تصحو فيه مصر فتقول للقراصنة تلك الكلمة التي قالتها لهم اليوم اخرجوا من بلادنا .

وكل هذا قد انتفضت مصر فألقته عن كاهلها في لحظة ، وتزاحم شبابها على أبواب الأحزاب والهيئات . لا يطلب وظيفة ولا يطلب مغنماً ولا يطلب مكافأة إنما يطلب الموت في سبيل العزة والاستشهاد في سبيل البلاد .

ولقد كانت المنافسات الحزبية آفة هذا الوطن لأنها كانت سباقاً إلى الحكم وسباقاً إلى الغنم . أما منافسات اليوم بين الأحزاب والهيئات فهي خير إن شاء الله . إنها لا تدور على المغانم ولكنها تدور على المغارم . انها ليست في سبيل الشيطان إنما هي في سبيل الله .

فليتسابق المتسابقون اذن وليتنافس المتنافسون في تكوين الكتائب وحشد

القوى وتجميع الرجال ، ولتدب الغيرة المقدسة بين المعسكرات المختلفة ما دامت في هذا الوجه وما دامت في هذا المجال .

إن كل شاب ينضم إلى كتيبة أياً كان القائمون عليها – هو شاب كسبته الرجولة وكسبته الفضيلة . هو شاب قد استفذت بروحه من الترف ومن الرخاوة ومن الميوعة . هو شاب قد تطهر من الرذيلة ومن الدنس ومن القذارة . هو شاب قد استعدت روحه للبذل والتضحية فتخلصت من بعد الانانية ومن ظلام الأثره . ومن لعنة الفردية . فان عاش بعد المعركة فهو رجل تعتز به الأمة وان كتبت له الشهادة لاقى ربه على خير ما يلقاه عبد مؤمن وهب نفسه لغاية أسمى من ذاته وأكبر من حياته .

إن علائم النصر تلوح من وراء الشدائد التي تواجهنا من هذه الأيام . ومتى انتصرنا على أنفسنا وعلى شهواتنا وعلى مطامعنا الغريبة في هذه الأرض . ومتى تطلعت أبصارنا إلى أهداف أعلى من منافع الأفراد ولذائذ الأفراد .

متى يتم هذا كله فالنصر قريب والشدة لا تصنع شيئاً إلا أن تصهر وإلا أن تطهر وإلا أن تخلق الرجال والأبطال .

إن القراصنة المحتلين لم يغلبونا بالقوة ولقد غلبنا من داخل أنفسنا ومن داخل صفوفنا . لقد غلبنا يوم استسلمنا للوهم القائل بأن العنصر الأبيض خير من العنصر الملون . وبأن الحضارة الغربية خير من حضارتنا وبأنه ليس لدينا ما نعطيه للبشرية لأننا انتهينا .

إن الانجليز لا يستطيعون أن يحكمونا إذا لم نساعدهم نحن على أنفسنا . وها هم أولاء لا يستطيعون تموين أنفسهم بمجرد تخلي بعض عمالنا عنهم ، وما يزال الخونة من المقاولين يمدونهم ببعض الخدمات ، والخونة من المتعهدين يمدونهم ببعض التموين والخونة من الجواسيس يمدونهم

ببعض المعلومات . ولو بطل هذا كله ما وجدوا لهم سنداً يرتكزون عليه ، ولما اجدت قوتهم المادية كثيراً ولا قليلاً .

وانه لا يخيفنا أن يعيد الانجليز احتلال الوادي كله[1] بقواتهم . بل انها لتكون فرصة لا تعوض ببعثرة قواتهم وجنودهم على مصايد الفدائيين في طول الوادي وعرضه فالذين يهددوننا بإعادة الاحتلال العسكري إما مغرضون يرجفون وإما ضعفاء غافلون والنصر لنا على كل حال .

إن كتائب التحرير ستطهر الوادي من الخونة ومن الجواسيس ومن المرجفين .

وعندئذ لن يجد الاحتلال له نصيراً . ولن تنفعه قواه الحربية اذن . وعشرون مليوناً يترصدون القراصنة في كل شبر من الأرض يدافعون بهذه الروح العجيبة التي يتسابق بها المتسابقون في ميدان التضحية النبيلة .

فعلى بركة الله فليسر الجميع في طريق المجد وعلى بركة الله فليتسابق المتسابقون وليتنافس المتنافسون في ذلك الميدان الكريم .

---

(١) قالوا في تبرير هزيمة حزيران : اننا لم نبدأ بالقتال — مع علمنا بان إسرائيل ستضرب مصر يوم ٥ حزيران — خوفاً من أن يحتل الامريكان مصر كلها ! ! !

معركتنا مع .. اليهود

«لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ..» .

ما تزال الأمة المسلمة تعاني من دسائس اليهود ومكرهم ما عاناه أسلافها من هذا المكر ومن تلك الدسائس غير أن الأمة المسلمة لا تنتفع – مع الأسف – بتلك التوجيهات القرآنية و بهذا الهدى الالهي : «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ؟ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ؟ أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ؟»

لا تنتفع الأمة المسلمة بما انتفع به أسلافها فغلبوا كيد اليهود ومكرهم في المدينة والدين ناشئ ، والجماعة المسلمة وليدة .

وما يزال اليهود – بلؤمهم ومكرهم – يضللون هذه الأمة عن دينها ويصرفونها عن قرآنها كي لا تأخذ منه أسلحتها الماضية ، وعدتها الوافية ، وهم آمنون ما انصرفت هذه الأمة عن موارد قوتها الحقيقية وينابيع معرفتها الصافية . وكل من يصرف هذه الأمة عن دينها وعن قرآنها فإنما هو من عملاء يهود ، سواء عرف أم لم يعرف أراد أم لم يرد ، فسيظل اليهود في مأمن من هذه الأمة ما دامت مصروفة عن الحقيقة الواحدة المفردة التي

تستمد منها وجودها وقوتها وغلبتها – حقيقة العقيدة الإيمانية والمنهج الإيماني والشريعة الإيمانية ، فهذا هو الطريق . وهذه هي معالم الطريق .

* * *

كان لليهود في المدينة مكانتهم وارتباطاتهم الاقتصادية والتعهدية مع أهلها ، ولم يتبين عداؤهم سافراً . ولم ينضج في نفوس المسلمين كذلك الشعور بأن عقيدتهم وحدها هي العهد وهي الوطن وهي أصل التعامل والتعاقد ، وأنه لا بقاء لصلة ولا وشيجة إذا هي تعارضت مع العقيدة ! ! ومن ثم كانت لليهود فرصة للتوجيه والتشكيك والبلبلة ، وكان هناك من يسمع لقولهم في الجماعة المسلمة ويتأثر به ، وكان هناك من يدفع عنهم ما يريد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل بهم من إجراءات لدفع كيدهم عن الصف المسلم « كما حدث في شفاعة عبد الله بن أبي من بني قينقاع ، واغلاظه في هذا للرسول صلى الله عليه وسلم » .

* * *

إن أعداء الجماعة المسلمة لم يكونوا يحاربونها في الميدان بالسيف والرمح فحسب ولم يكونوا يؤلبون عليها الأعداء ليحاربوها بالسيف والرمح فحسب ، إنما كانوا يحاربونها أولاً في عقيدتها ! ! كانوا يحاربونها بالدس والتشكيك ، ونثر الشبهات وتدبير المناورات !
كانوا يعمدون أولاً إلى عقيدتها الإيمانية التي منها انبثق كيانها ومنها قام وجودها فيعملون فيها معاول الهدم والتوصية ذلك أنهم كانوا يدركون – كما يدركون اليوم تماماً[1] – أن هذه الأمة لا تؤتى إلا من هذا المدخل

---

(١) تأمل حملة التشكيك في العقيدة ، والتعبئة الالحادية في جيش عربي ضد الايمان بالله قبيل =

ولا تهن إلا إذا وهنت عقيدتها ولا تهزم إلا إذا هزمت روحها ، ولا يبلغ اعداؤها منها شيئاً وهي ممسكة بعروة الإيمان مرتكنة إلى ركنة سائرة على نهجه حاملة لرايته ممثلة لحزبه منتسبة إليه ، معتزة بهذا النسب وحده .

من هنا يبدو أن أعدى أعداء هذه الأمة هو الذي يلهيها عن عقيدتها الإيمانية ، ويحيد بها عن منهج الله وطريقه ويخدعها عن حقيقة أعدائها وحقيقة أهدافهم البعيدة .

إن المعركة بين الأمة المسلمة وبين أعدائها هي قبل كل شيء معركة هذه العقيدة وحتى حين يريد اعداؤها أن يغلبوها على الأرض والمحصولات والاقتصاد والخامات فإنهم يحاولون أولاً أن يغلبوها على العقيدة لأنهم يعلمون بالتجارب الطويلة أنهم لا يبلغون مما يريدون شيئاً والأمة المسلمة مستمسكة بعقيدتها ، ملتزمة بمنهجها ، مدركة لكيد أعدائها .. ومن ثم يبذل هؤلاء الأعداء وعملاؤهم جهد الجبارين من خداع هذه الأمة عن حقيقة المعركة ليفوزوا منها بعد ذلك بكل ما يريدون من استعمار واستغلال آمنون من عزمة هذه العقيدة في الصدور .

وكلما ارتقت وسائل الكيد لهذه العقيدة والتشكيك فيها والتوهين من عراها استخدم اعداؤها هذه الوسائل المترقية الجديدة . ولكن لنفس الغاية القديمة : «ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ! ! »

فهذه هي الغاية الثابتة الدفينة ! !

لهذا كان القرآن يدفع هذا السلاح المسموم أولاً ... كان يأخذ الجماعة المسلمة بالتثبيت على الحق الذي هو عليه وينفي الشبهات والشكوك التي

= هزيمة ١٩٦٧ بأسابيع ! ! ! ثم الاصرار الطويل النفس على إبعاد الإسلام عن قضية فلسطين مثلاً .

يلقيها أهل الكتاب ، ويجلو الحقيقة الكبيرة التي يتضمنها هذا الدين ويقنع الجماعة المسلمة بحقيقتها وقيمتها من هذه الأرض ودورها ودور العقيدة التي يحملها في تاريخ البشرية .

وكان يأخذها بالتحذير من كيد الكائدين ويكشف لها نواياهم المستترة ووسائلهم القذرة وأهدافهم الخطرة وأحقادهم على الإسلام والمسلمين لاختصاصهم بهذا الفضل العظيم .

وكأن يأخذها بتقرير حقيقة القوى وموازينها في هذا الوجود فبين لها هزال أعدائها وهوانهم على الله ، وضلالهم وكفرهم بما أنزل الله إليهم من قبل وقتلهم الأنبياء كما يبين لها أن الله معها وهو مالك الملك المعز المذل وحده بلا شريك وأنه سيأخذ الكفار اليهود بالعذاب والنكال كما أخذ المشركين من قبل .

* * *

وعانت أمتنا التلبيس والدس من يهود .

« يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » وهذه خصلة من أهل الكتاب يجب أن يبصرها المسلمون ويأخذوا حذرهم منها .

خصلة التلبيس والدس .

وهذا الذي ندد الله به – سبحانه – من أعمال أهل الكتاب حينذاك هو الأمر الذي درجوا عليه من وقتها حتى اللحظة الحاضرة ... فهذا طريقهم على مدار التاريخ .

اليهود بدأوا منذ اللحظة الأولى .. ثم تابعهم الصليبيون .

وفي خلال القرون المتطاولة دسوا – مع الأسف – في التراث الإسلامي ما لا سبيل إلى كشفه إلا بجهد القرون ! ! ولبسوا الحق الباطل في هذا

التراث كله - اللهم إلا هذا الكتاب المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه أبد الآبدين والحمد لله على فضله العظيم .

دسوا ولبسوا في التاريخ الإسلامي وأحداثه ورجاله ودسوا في الحديث النبوي حتى قيض الله له رجاله الذين حققوه وحرروه إلا ما ند عن الجهد الإنساني المحدود .

ودسوا ولبسوا في التفسير القرآني .

وهناك دس جد خطر .

لقد دسوا رجالاً وزعامات للكيد لهذه الأمة .

فالمئات والألوف كانوا دسيسة في العالم الإسلامي - وما يزالون في صورة مستشرقين وتلاميذ مستشرقين الذين يشغلون مناصب الحياة الفكرية اليوم في البلاد التي يقول أهلها : إنهم مسلمون ! !

والعشرات من الشخصيات المدسوسة على الأمة المسلمة في صورة «أبطال» مصنوعين على عين الصهيونية[1] ليؤدوا لأعداء الإسلام من الخدمات ما لا يملك هؤلاء الأعداء أن يؤدوه ظاهرين .

وما يزال هذا الكيد قائماً مطرداً ، وما تزال مثابة الأمان والنجاة منه

---

(١) «وفي المستقبل القريب سنجعل الرئيس شخصاً مسئولاً ويومئذ لن نكون حائرين في أن ننفذ بجسارة خططنا التي سيكون «دميتنا» مسئولاً عنها ولكي نصل إلى هذه النتائج سنندبر انتخاب أمثال هؤلاء الرؤساء ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة ما أو صفقة أخرى سرية مريبة .. إن رئيساً من هذا النوع سيكون منفذاً وافياً لأغراضنا لأنه سيخشى التشهير وسيبقى خاضعاً لسلطان الخوف الذي يتملك دائماً الرجل الذي وصل إلى السلطة والذي يتلهف على أن يستبقي امتيازاته وامجاده المرتبطة بمركزه الرفيع» ... البروتوكول العاشر من بروتوكولات صهيون .

هي اللياذ بهذا الكتاب المحفوظ ، والعودة إليه لاستشارته في المعركة الناشبة طوال هذه القرون .

* * *

وتستمر حملة التشكيك من اليهود في الأمة المسلمة :

«وقالت طائفة من أهل الكتاب : آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم» .

وهي طريقة ماكرة لئيمة فإن اظهارهم الإسلام ثم الرجوع عنه يوقع بعض النفوس والعقول وغير المتثبتين من حقيقة دينهم وطبيعته .. يوقعهم في بلبلة واضطراب ... فإذا رأوا اليهود يؤمنون ثم يرتدون حسبوا أنهم إنما ارتدوا بسبب اطلاعهم على خبيئة ونقص من هذا الدين وتأرجحوا بين اتجاهين فلم يكن لهم ثبات على حال .

وما تزال هذه الخدعة تتخذ حتى اليوم . في شتى الصور التي تناسب تطور الملابسات والناس في كل جيل .

ولقد يئس أعداء المسلمين أن تنطلي اليوم هذه الخدعة فلجأت القوى المناهضة للإسلام في العالم إلى طرق شتى كلها تقوم على تلك الخدعة القديمة .

إن لهذه القوى اليوم في العالم الإسلامي جيشاً جراراً من العملاء في صورة أساتذة وفلاسفة ودكاترة وباحثين – وأحياناً كتاب وشعراء وفنانين وصحفيين – يحملون أسماء المسلمين لأنهم انحدروا من سلالة مسلمة ! ! وبعضهم من «علماء» المسلمين ! !

هذا الجيش من العلماء موجه لخلخلة(١) العقيدة في النفوس بشتى

---

(١) «لن نبيح قيام أي دين غير ديننا . ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان =

الأساليب ، في صورة بحث وعلم وأدب وفن وصحافة .. وتوهين قواعدها من الأساس .. والتوهين من شأن العقيدة والشريعة سواء . وتأويلها وتحميلها ما لا تطيق والدق المتصل على «رجعيتها» ! والدعوة للتفلت منها وأبعادها عن مجال الحياة اشفاقاً عليها من الحياة أو اشفاقاً على الحياة منها !! وابتداع تصورات ومثل وقواعد للشعور والسلوك تناقض وتحطم تصورات العقيدة ومثلها .. وتزيين تلك التصورات المبتدعة بقدر تشويه التصورات والمثل الإيمانية .. وإطلاق الشهوات من عقالها وسحق القاعدة الخلقية التي تستوي عليها العقيدة النظيفة لتخرج من الوحل الذي ينثرونه في الأرض نثراً . ويشوهون التاريخ كله ويحرفونه كما يحرفون النصوص !!

وهم بعد مسلمون !! اليسوا يحملون اسماء المسلمين ؟ وهم بهذه الأسماء المسلمة يعلنون الإسلام وجه النهار !! و بهذه المحاولات يكفرون آخره !! «ويؤدون بهذه وتلك دور اليهود القديم» لا يتغير إلا الشكل والإطار في ذلك الدور القديم !

تظاهروا بالإسلام – ومعكم دليل إسمي – أول النهار واكفروا آخره لعل المسلمين يرجعون عن دينهم ..

وليكن هذا سراً بيننا لا يطلع عليه إلا المتفاهمون معنا على القضاء على هذا الدين .

«ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم» .

وعملاء الصهيونية اليوم كذلك ... إنهم متفاهمون فيما بينهم على أمر ..

= وستكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين » ... البروتوكول الرابع عشر من بروتوكولات صهيون .

هو الاجهاز على هذه العقيدة في الفرصة السانحة التي قد لا تعود .. وقد لا يكون هذا التفاهم في معاهدة أو مؤامرة ، ولكنه تفاهم العميل مع العميل على المهمة المطلوبة للأصيل[1] .

ويأمن بعضهم لبعض فيفضي بعضهم إلى بعض .. ثم يتظاهرون — بعضهم على الأقل — بغير ما يريدون وما يبيتون ... والجو من حولهم مهيأ ... والأجهزة من حولهم معبأة .. والذين يدركون حقيقة هذا الدين في الأرض كلها مغيبون أو مشردون ! !

* * *

لقد تحدث القرآن كثيراً عن يهوده وشرح نفسياتهم الشريرة وليس مصادفة أن يفصل القرآن هذا فإن تاريخ أمة من الأمم لم يشهد ما شهده تاريخ بني إسرائيل من قسوة وجحود وتنكر للهداة فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عدداً من أنبيائهم — وهي أشنع فعلة تصدر من أمة مع دعاة الحق المخلصين — وقد كفروا أشنع الكفر واعتدوا .. أشنع الاعتداء وعصوا أبشع معصية وكان لهم في كل ميدان من هذه الميادين أفاعيل ليست مثلها أفاعيل ! !

ومخاليق تقتل الأنبياء وتذبحهم وتنشرهم بالمناشير لا ينتظر منها إلا استباحة دماء البشر واستباحة كل وسيلة قذرة تنفس عن أحقادهم وفسقهم .

* * *

---

(١) « ولا أحد من الاعضاء سيفشي معرفته بالسر للغير . والسبب هو أنه لا أحد يؤذن له بالدخول في عالمنا ما لم يكن يحمل سمات بعض الأعمال المخزية في حياته الماضية » . البروتوكول الثالث عشر .

والقرآن الكريم يقص علينا العجب من سلوك يهود العجيب : « قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين .. من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين » .

في قصة هذا التحدي نطلع على سمة أخرى من سمات يهود ... سمة عجيبة حقاً .. لقد بلغ هؤلاء القوم من الحنق والغيظ من أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباد مبلغاً يتجاوز كل حد .. وقادهم هذا إلى تناقض لا يستقيم في عقل .. لقد سمعوا أن جبريل ينزل بالوصي من عند الله على محمد – صلى الله عليه وسلم – ولما كان عداؤهم لمحمد قد بلغ مرتبة الحقد والحنق فقد لج بهم الضغن أن يخترعوا قصة واهية وحجة فارغة فيزعموا أن جبريل عدوهم لأنه ينزل بالهلاك والدمار والعذاب ، وأن هذا هو الذي يمنعهم من الإيمان بمحمد من جراء صاحبه جبريل ، ولو كان الذي ينزل بالوحي هو ميكائيل لآمنوا فميكائيل يتنزل بالرخاء والمطر والخصب .

إنها الحماقة المضحكة ... ولكن الغيظ والحقد يسوقانه إلى كل حماقة وإلا فخاب لهم يعادون جبريل ؟ وجبريل لم يكن بشراً يعمل معهم أو ضدهم ولم يكن يعمل بتصميم من عنده وتدبير ؟ إنما عبد الله يفعل بأمره ولا يعصي الله ما أمره !

ويمتد حقد اليهود الأسود من جبريل عليه السلام إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

وكان الذي حملهم على هذا كله هو حسدهم لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يختاره الله للرسالة التي انتظروها فيهم وحقدهم لأن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ..

وهذه الطبيعة التي تبدو هنا في اليهود هي الطبيعة الكنود . طبيعة الأثرة الضيقة التي تحيا في نطاق من التعصب شديد وتحس أن كل خير يصيب سواها كأنما هو متقطع منها ولا تشعر بالوشيجة الإنسانية الكبرى التي تربط البشرية جميعاً .

وهكذا عاش اليهود في عزلة .

يحسون أنهم فرع مقطوع من شجرة الحياة ويتربصون بالبشرية الدوائر ويكنون للناس البغضاء ، ويعانون عذاب الأحقاد والضغائن ويذيقون البشرية رجع هذه الأحقاد فتناً يوقدونها بين بعض الشعوب وبعض ، وحروباً يثيرونها ليجروا من ورائها الغنائم ، ويروون بها أحقادهم التي لا تنطفئ ، وهلاكاً يسلطونه على الناس ، ويسلطه عليهم الناس ... وهذا الشر كله إنما نشأ من تلك الأثرة البغيضة : « بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده » .

وحقد اليهود الأسود على رسول الله وعلى القرآن وعلى الإسلام جعلهم يوثرون الشرك – وهم أهل كتاب – على الإسلام .

وهم اليوم يؤثرون الشيوعية .. أي صلة أخرى فاسدة على هذا الدين بل إنهم ينشئون هذه المذاهب الإلحادية[1] إنشاء لمحاربة الإسلام !

عن محمد بن اسحاق قال – بإسناده عن جماعة .

إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود : منهم سلام بن أبي الحقيق النضري ، وحيي بن أخطب النصري ، وكنانة بن أبي الحقيق

---

(١) « لا تتصوروا أن تصر يحاتنا جوفاء . ولاحظوا هنا أن نجاح ماركس قد رتبناه من قبل ! » .
« ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للانسانية . وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية ! ! »
بروتوكولات .. الثاني والثالث .

النضري ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ، ونفر من بني وائل ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خرجوا حتى قدموا على قريش في مكة فدعوهم إلى حرب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش :

يا معشر يهود .. إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه ؟؟

قالوا — اليهود — : بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه ! ! !

فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » إلى قوله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .. » ؟

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — واستعدوا له .

* * *

وصدق الله العظيم : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا .. »

إن صيغة العبارة تحتمل أن تكون خطاباً للرسول — صلى الله عليه وسلم وأن تكون كذلك خطاباً عاماً خرج مخرج العموم لأنه يتضمن أمراً ظاهراً مكشوفاً يجده كل إنسان .

فإذا تقرر هذا فإن الأمر الذي يلفت النظر في صياغة العبارة هو تقديم اليهود على الذين أشركوا في صدد أنهم أشد عداوة للذين آمنوا ،

وإن شدة عداوتهم ظاهرة مكشوفة وأمر مقرر يراه كل من يرى ويجده كل من يتأمل ! !

نعم إن العطف بالواو في التعبير العربي يفيد الجمع بين أمرين ولا يفيد تعقيباً ولا ترتيباً ... ولكن تقديم اليهود هنا حيث يقوم الظن بأنهم أقل عداوة للذين آمنوا من المشركين – بما أنهم أصلاً أهل كتاب – يجعل لهذا التقديم شأناً خاصاً غير المألوف من العطف بالواو في التعبير العربي ! ! إنه – على الأقل – يوجه النظر إلى أن كونهم أهل كتاب لم يغير من الحقيقة الواقعة وهي أنهم كالذين أشركوا أشد عداوة للذين آمنوا ! ! ونقول : إن هذا « على الأقل » ولا ينفي هذا احتمال أن يكون المقصود هو تقديمهم في شدة العداء على الذين أشركوا .

وحين يستأنس الإنسان في هذا التقرير الرباني بالواقع التاريخي المشهود منذ مولد الإسلام حتى اللحظة الحاضرة فإنه لا يتردد في تقرير أن عداء اليهود للذين آمنوا كان دائماً أشد وأقسى وأعمق إصراراً وأطول أمداً من عداء الذين أشركوا .

لقد واجه اليهود الإسلام بالعداء منذ اللحظة الأولى التي قامت فيها دولة الإسلام بالمدينة ، وكادوا للأمة المسلمة منذ اليوم الأول الذي أصبحت فيه أمة ، وتضمن القرآن من التقريرات والإشارات عن هذا العداء وهذا الكيد ما يكفي وحده لتصوير تلك الحرب المريرة التي شنها اليهود على الإسلام وعلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلى الامة المسلمة في تاريخها الطويل والتي لم تخبُ لحظة واحدة قرابة أربعة عشر قرناً وما تزال حتى اللحظة[1] يتسعر أوارها في أرجاء الأرض جميعاً .

---

(١) صرخ جنود اليهود وهم يدخلون القدس يونيو ١٩٦٧ ، « محمد مات ، وخلف بنات ! ! ! »

لقد عقد الرسول – صلى الله عليه وسلم – أول مقدمه إلى المدينة ، معاهدة تعايش مع اليهود ، ودعاهم إلى الإسلام الذي يصدق ما بين أيديهم من التوراة ، ولكنهم لم يفوا بهذا العهد – شأنهم في هذا كشأنهم مع كل عهد قطعوه مع ربهم أو مع أنبيائهم من قبل حتى قال الله فيهم : « ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون ، أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم ؟ بل أكثرهم لا يؤمنون . ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » .

ولقد أضمروا العداء للإسلام والمسلمين منذ اليوم الأول الذي جمع الله فيه الأوس والخزرج على الإسلام فلم يعد لليهود في صفوفهم مدخل ولا مخرج ومنذ اليوم الذي تحددت فيه قيادة الأمة المسلمة وأمسك بزمامها محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلم تعد لليهود فرصة للتسلط .

ولقد استخدموا كل الأسلحة والوسائل التي تفتقت عنها عبقرية المكر اليهودية وأفادتها منذ قرون السبي « في بابل » والعبودية في مصر .. والذل في الدولة الرومانية .. ومع أن الإسلام قد وسعهم بعد ما ضاقت بهم الملل والنحل على مدار التاريخ فإنهم ردوا للإسلام جميله عليهم أقبح الكيد وألأم المكر منذ اليوم الأول .

ولقد ألبوا على الإسلام والمسلمين كل قوى الجزيرة العربية المشركة وراحوا يجمعون القبائل المتفرقة لحرب الجماعة المسلمة : « ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » .

ولما غلبهم الإسلام بقوة الحق – يوم أن كان الناس مسلمين – استداروا يكيدون له بدس المفتريات من كتبه – لم يسلم من هذا الدس إلا كتاب الله الذي تكفل بحفظه سبحانه – ويكيدون له بالدس بين

صفوف المسلمين .. وإثارة الفتن عن طريق استخدام حديثي العهد بالإسلام ومن ليس لهم فيه فقه من مسلمة الأقطار .. ويكيدون له بتأليب خصومه عليه في أنحاء الأرض .. حتى انتهى بهم المطاف أن يكونوا في العصر الأخير هم الذين يقودون المعركة مع الإسلام في كل شبر على وجه الأرض .. وهم الذين يستخدمون الصليبية والوثنية في هذه الحرب الشاملة .. وهم الذين يقيمون الأوضاع ويصنعون الأبطال الذين يتسمون بأسماء المسلمين .. ويشنونها حرباً صليبية صهيونية على كل جذر من جذور هذا الدين !!

وصدق الله العظيم : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

إن الذي ألب الأحزان على الدولة المسلمة الناشئة في المدينة ، وجمع بين اليهود من بني قريظة وغيرهم وبين قريش من مكة وبين القبائل الأخرى في الجزيرة ... يهودي .

والذي ألب العوام ، وجمع الشراذم ، وأطلق الشائعات في فتنة مقتل عثمان – رضي الله عنه – وما تلاها من النكبات ... يهودي .

والذي قاد حملة الوضع والكذب في أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفي الروايات والسير ... يهودي .

ثم إن الذي كان وراء إثارة النعرات القومية في دولة الخلافة الأخيرة ووراء الانقلابات التي ابتدأت بعزل الشريعة عن الحكم واستبدال « الدستور » بها في عهد السلطان عبد الحميد ثم انتهت بإلغاء الخلافة جملة على يدي « البطل » أتاتورك ... يهودي .

وسائر ما تلا ذلك من الحرب المعلنة على طلائع البعث الإسلامي من كل مكان على وجه الأرض وراءه يهود !!

ثم لقد كان وراء النزعة المادية الالحادية «يهودي» ووراء النزعة الحيوانية يهودي ... ووراء هدم الأسرة وتفكيك الروابط المقدسة في المجتمع ... يهودي[1] ...

ولقد كانت الحرب التي شنها اليهود على الإسلام أطول أمد ، وأعرض مجالاً ، من تلك التي شنها عليه المشركون والوثنيون – على ضراوتها – قديماً وحديثاً ، إن المعركة مع مشركي العرب لم تمتد إلى أكثر من عشرين عاماً في جملتها ، وكذلك كانت المعركة مع فارس في العهد الأول ... أما في العصر الحديث فإن ضراوة المعركة بين الوثنية الهندية والإسلام ضراوة ظاهرة ولكنها لا تبلغ ضراوة الصهيونية العالمية «التي تعد الماركسية مجرد فرع لها» .

* * *

إن لقصة بني اسرائيل التي فصلها القرآن أوسع تفصيل حكمة متشعبة الجوانب .

● من جوانب هذه الحكمة أن بني إسرائيل هم أول من واجه الدعوة الإسلامية بالعداء والكيد والحرب في المدينة وفي الجزيرة العربية كلها .. فقد كانوا حرباً على الجماعة المسلمة منذ اليوم الأول ، هم الذين احتضنوا النفاق والمنافقين في المدينة وأمدوهم بوسائل الكيد للعقيدة وللمسلمين جميعاً .. وهم الذين حرضوا المشركين وواعدوهم وتآمروا معهم على الجماعة المسلمة .. وهم الذين تولوا حرب الاشاعات والدس والكيد في الصف المسلم ، كما تولوا بث الشبهات والشكوك والتحريفات حول

---

(١) هؤلاء الثلاثة بالترتيب هم «ماركس .. فرويد .. دركايم .» ويضاف ، وكان وراء نزعة أدب الانحلال والضياع يهودي هو «جان بول سارتر !!»

العقيدة وحول القيادة .. وذلك كله قبل أن يسفروا بوجوههم في الحرب المعلنة الصريحة ، فلم يكن بد من كشفهم للجماعة المسلمة لتعرف من هم اعداؤها ؟ ما طبيعتهم ؟ وما تاريخهم ؟ وما وسائلهم ، وما حقيقة المعركة التي تخوضها معهم ؟

ولقد علم الله سبحانه أنهم هم سيكونون أعداء هذه الأمة في تاريخها كله ، كما كانوا أعداء هدي الله في ماضيهم كله فعرض لهذه الأمة أمرهم كله مكشوفاً .. ووسائلهم كلها مكشوفة .

● ومن جوانب هذه الحكمة أن بني إسرائيل هم أصحاب آخر دين قبل دين الله الأخير وقد امتد تاريخهم قبل الإسلام فترة من التاريخ طويلة .. ووقعت الانحرافات في عقيدتهم ووقع منهم النقض المتكرر لميثاق الله معهم ووقع في حياتهم آثار هذا النقض وهذا الانحراف .. كما وقع في أخلاقهم وتقاليدهم فاقتضى هذا أن تلم الأمة المسلمة – وهي وارثة الرسالات كلها وحاضنة العقيدة الربانية بجملتها – بتاريخ القوم .. وتقلبات هذا التاريخ ، وتعرف مزالق الطريق وعواقبها ممثلة في حياة بني اسرائيل وأخلاقهم ، لتضم هذه التجربة – في حقل العقيدة والحياة – إلى حصيلة تجاربها وتنتفع بهذا الرصيد وتنفع على مدار القرون ولتتقي – بصفة خاصة – مزالق الطريق ، ومداخل الشيطان ، وبوادر الانحراف ، على هدي التجارب الأولى .

● ومن جوانب هذه الحكمة أن تجربة بني إسرائيل ذات صحائف شتى في المدى الطويل ، وقد علم الله أن الأمة حين يطول على الأمم تقسو قلوبها وتنحرف أجيال منها ، وأن الأمة المسلمة التي سيمتد تاريخها حتى تقوم الساعة .. ستصادفها فترات تمثل فيها فترات من حياة بني اسرائيل فجعل أمام أئمة هذه الأمة وقادتها ومجددي الدعوة في أجيالها الكثيرة

نماذج حية من العقابيل التي تلم بالأمم ، يعرفون منها كيف يعالجون الداء بعد معرفة طبيعته .

* * *

وبعد : فإن المعركة بين الإسلام ويهود لا تزال دائرة وستظل كذلك لأن اليهود لا يرضون إلا بتدمير هذا الدين .

كانوا – بعد أن غلبهم الإسلام – يحاربون هذا الدين بالمؤامرات والدسائس وتحريك عملائهم في الظلام .

أما اليوم فقد ازدادت المعركة ضراوة وسفوراً أو تركيزاً بعد أن جاءوا من كل فج وأعلنوا أنهم أقاموا دولة اسرائيل .

كانت أطماعهم ترف من بعيد إلى بيت المقدس أما اليوم فهم منه على بعد خطوات .. ولا يكف أطماعهم إلا أن يغلبهم الإسلام .

ولقد دارت – من قبل – معارك في بيت المقدس .. فقد أفسد اليهود في الأرض المقدسة فبعث الله عليهم عباداً له أولي بأس شديد فجلسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً .

لكن على المسلمين – وهم يتأهبون للمعركة – أن يفهموا قرآنهم .

لقد كانت رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير ، تربط بين عقائد التوجيه الكبرى من لدن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام إلى محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً ، وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير صلى الله عليه وسلم لمقدسات الرسل قبله ، واشتمال رسالته على هذه المقدسات ، وتشمل آماداً وآفاقاً أوسع من الزمان والمكان ، وتتضمن معاني أكبر من المعاني القريبة التي تنكشف عنها للنظرة الأولى .

وسوف ينازع بنو اسرائيل المسلمين في وراثة المسجد الأقصى .

وسوف تدور المعركة .

« فإذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً » .

فهذه هي الأولى : يعلون في الأرض المقدسة . ويصبح لهم فيها قوة وسلطان . فيفسدون فيها فيبعث الله عليهم عباداً من عباده أولي بأس شديد . وأولي بطش وقوة .. يستبيحون الديار .. ويروحون فيها ويغدون باستهتار .. ويطأون ما فيها ومن فيها بلا تهيب .. « وكان وعداً مفعولاً » لا يخلف ولا يكذب .

وتتكرر قصة الافساد .. ويتكرر الاذلال والطرد .

وكلما عاد بنو اسرائيل إلى الافساد في الأرض فالجزاء حاضر والسنة ماضية « وإن عدتم عدنا » .

ولقد عادوا إلى الافساد فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة العربية كلها .. ثم عادوا إلى الافساد فسلط عليهم عباداً آخرين ، حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم « هتلر » ولقد عادوا اليوم إلى الافساد في صورة « اسرائيل » التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب ، تصديقاً لوعد الله القاطع « وإن عدتم عدنا » ووفاقاً لسنته التي لا تختلف وإن غداً لناظره قريب ! !

* * *

ولا يهولن المسلم ما يراه من قوة وتهديد فانهم « لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » .

والمظاهر قد تخدع فنرى تضامن الذين كفروا من أهل الكتاب فيما

بينهم ونرى عصبيتهم بعضهم لبعض ، كما نرى تجمع المنافقين أحياناً في معسكر واحد .. ولكن الخبر الصادق من السماء يأتينا بأنهم ليسوا كذلك في حقيقتهم ، إنما هو مظهر خارجي خادع . وبين الحين والحين ينكشف هذا الستار الخداع ، فيبدو من ورائه صدق الخبر في دنيا الواقع المنظور ..

وما صدق المؤمنون مرة وتجمعت قلوبهم على الله حقاً إلا وانكشف المعسكر الآخر أمامهم عن هذه الاختلافات وهذا التضارب وهذا الرياء الذي لا يمثل حقيقة الحال .

وما صبر المؤمنون وثبتوا إلا وشهدوا التماسك بين أهل الباطل يتفسخ وينهار .

وما تزال الأيام تكشف حقيقة الاعجاز في «تشخيص» حالة الكافرين حيثما التقى المؤمنون بهم في أي زمان وفي أي مكان بشكل واضح للعيان .

ولقد شهدت الاشتباكات الأخيرة[1] في الأرض المقدسة بين المؤمنين الفدائيين وبين اليهود مصداق هذا الخبر بصورة عجيبة فما كانوا يقاتلونهم إلا في المستعمرات المحصنة في أرض فلسطين .. فإذا انكشفوا لحظة واحدة ولوا الأدبار كالجرذان حتى لكأن هذه الآية نزلت فيهم ابتداء وسبحان العليم الخبير ! !

---

(١) ١٩٤٨ .. راجع « الاخوان المسلمون في حرب فلسطين » للأستاذ كامل الشريف .

الإسلام نظام اجتماعي لا تعويذة *

« فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى »

هناك محاولات ملحوظة في هذه الأيام للتقرب من الإسلام ودعاة الإسلام ، محاولات ممن تعنيهم مكافحة الزحف الشيوعي إلى الرقعة الإسلامية وبخاصة منطقة الشرق الأوسط . كما تعنيهم المحافظة على الأوضاع القائمة بمنطقة الشرق الأوسط .

إلى هؤلاء جميعاً نحب أن نوجه كلمة صادقة واضحة .

إن الإسلام حقيقة كفيل بأن يقاوم الزحف الشيوعي بل إنه هو القوة الوحيدة القادرة على صد هذا الزحف في العالم ، وكل ما سواه من الحواجز التي توضع في وجه هذا الزحف مؤقت وزائل .

لكن الإسلام ليس تعويذة سحرية تعلق على رأس الشرق الأوسط أو تحت ابطه ، فتذهب عنه الأرواح الشريرة وتطرد عنه الجن والمردة وتحفظه بسرها « البالغ » من المبادئ الهدامة .

والإسلام الذي يقي من الشيوعية ليس هو الاوراد والتسابيح والتراتيل . وليس هو الطقطقة بالمسابح والانشاد في الاذكار . وليس هو صواريخ

* الدعوة ١٥/ ٤/ ١٩٥٢ .

المولد ولا زفة المحمل . كلا ليس هذا الإسلام وإن كان الاستعمار قد استخدم هذا النوع من الإسلام أعواماً طويلة في هذا الشرق . على أيدي عملائه من مشايخ الطرق المعروفين .

والإسلام الذي يقي من الشيوعية هو نظام اجتماعي ذو خصائص معينة يقوم على أسس معينة ويصوغ الحياة والمجتمع والقانون والعلاقات الدولية ومعه تلك الخصائص وهذه الأسس . وعندئذ فقط يكون له مفعول ! وعندئذ فقط يقف في وجه الزحف الشيوعي .

الإسلام الذي يقي من الزحف الشيوعي هو ذلك النظام الاجتماعي الذي يحقق العدالة الاجتماعية للأفراد والجماعات والشعوب ويرد الناس إلى شرعة العدل في المغانم والمغارم ويحقق التعادل بين الجهد والجزاء ، ويقيم التنافس على أساس المواهب الفردية بعد تكافؤ الفرص للجميع . وعندئذ يكون التفاوت نتيجة الجهد والعمل والتفوق الذاتي لا ثمرة أوضاع تجعل الجهد هو آخر وسائل النجاح بينما الاستثناء والمحسوبية والانحراف عن الطرق القويمة هي التي ترفع وتخفض وتعطي وتمنع !

الإسلام الذي يقي من الزحف الشيوعي هو ذلك النظام الدولي الذي يكافح الاستعمار ويطارده ويجعل الجهاد فريضة لدفع الطغيان من الأرض ويجرّم ذلك الاستغلال الشائن الذي يمثله الاستعمار الغربي ويحرم على المسلم أن تقوم بينه وبين الاستعمار وأهله مودة أو تعامل . ودستوره الأعلى يقول «لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم» أو يقول «إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون» .

الإسلام الذي يقي من الشيوعية هو ذلك النظام التشريعي الذي يستمد

قوانينه من الشريعة الإسلامية ويربي أبناءه تربية إسلامية . والتربية الإسلامية ليست هي مجرد الصلاة والصوم أو تحفيظ آيات وسور من القرآن ولكنها بجانب هذا تطهير المجتمع الذي تتنفس الناشئة في جـوه من ذلك الدنس الذي يلطخه ويلوثه . ثم تنشئهم على الخشونة والاستعداد للتضحية واعدادهم عملياً للقيام بواجب الجهاد المقدس في سبيل الله ثم الوطن والفضائل العليا في الحياة .

إن ذلك الإسلام الذي يستعمل من الظاهر لم يعد يجدي . لقد أدت الأذكار والمسابح واللحى والعذبات مهمتها وانتهت وما عاد أحد يخدع بها في هذه الأيام .

والذين ينخدعون بها لا وزن لهم اليوم في المجتمع الإسلامي ولم يعودوا يملكون توجيه الدفّة ولا تحويل التيار . ولهذا يتجه من تهمهم بقاء الأوضاع الحاضرة في الشرق الأوسط إلى ممثلي الفكرة الإسلامية الجدد يحاولون أن يوهموهم انهم أصبحوا من أصدقاء الإسلام المهتمين بدعوته المسالمين لدعاته ! ذلك لكي يكافحوا لهم الشيوعية في الشرق الأوسط ويبقوا على نفوذهم ومصالحهم وأوضاعهم .

ولكن هذا وهم ! ان اليقظة الإسلامية في طريقها إلى الأوج فمحال أن يخدعها أحد عن أهدافها الحقيقية .. وأهدافها الحقيقية هي طرد الاستعمار من الرقعة الإسلامية . وتحقيق عدالة اجتماعية على الطريقة الإسلامية وهي أعدل طريقة عرفتها البشرية .

ولن تستنيم اليقظة الإسلامية للاستعمار واسناد الاستعمار ولن تخدع بأحابيلهم الممدودة فهي تعرف انها حبال المشنقة أو أحابيل المصيدة .

وكل من يحاول أن يميل بالدعوة الإسلامية إلى مهادنة الشر والطغيان ، باسم مكافحة الشيوعية سيعرف ان هذه الدعوة أصلب منه عوداً وأشد منه

يقظة وأنها تستطيع أن تنفي عنها الخبث وأن تسير في طريقها تقية طاهرة نظيفة .

وستعرف الكتلة الإسلامية كيف تكافح الشيوعية ولكن لحسابها هي لا لحساب الاستعمار وأسناد الاستعمار .

فالإسلام يفرض عليها كفاح الالحاد وكفاح الطغيان سواء .

وهذا هو الإسلام كما يعرفه دعاة الإسلام .

وهذا هو الإسلام الذي ندعو إلى قيام الكتلة الثالثة على أساسه . فليست هذه الكتلة مجرد اسم وعنوان وليست مجرد حلف سياسي وليست مجرد مجموعه من الدول تجتمع اليوم وتتفرق غداً ، حسبما يعرض من المواقف الدولية والمصالح القومية .

كلا كلا إن الكتلة الثالثة فكرة ونظام واتجاه .. انها اعادة تنظيم للخريطة العالمية على أسس نظام اجتماعي معين يختلف في صميمه عن نظام الكتلة الشرقية ونظام الكتلة الغربية ويملك أن يمنح البشرية عالماً أفضل مما تملك كلتا الكتلتين أن تحقق بل أفضل مما تملك كلتا الكتلتين أن تتخيله !

إنه البعث الجديد . لا للعالم الإسلامي وحده ولكن لهذه البشرية البائسة التي حولتها الكتلة الغربية إلى مجموعات من الذئاب والغنم .

وحولتها الكتلة الشرقية إلى معتقل ضخم . والإسلام وحده هو القادر على أن يحيلها مجتمعاً إسلامياً كريماً .

ولكن أي الإسلام ؟

إنه ليس إسلام الرقي والتعاويذ ولكنه إسلام النظام والاعتزاز .

حقيقة الكتلة الإسلامية*

يحسن أن نعرف حقيقة الكتلة الإسلامية التي ندعو إليها ، وأهدافها الحقيقية كي نتجه اليها على بصيرة وهدى ونور .

دعاني إلى الحديث على هذا النحو ما قرأته في جريدة الأهرام يوم الخميس الماضي على لسان الدكتور أحمد زكي رئيس مجلس فؤاد الأول للبحوث الفنية بعد أن أمضى شهراً في الهند وباكستان .. وقال : —

«إن الهنود يعلمون عن مصر وسياستها أكثر مما يظن المصريون ولكنهم حساسون أكثر الحساسية من ناحية الباكستان فكانوا يسألونني دائماً : هل للمؤتمر الإسلامي غاية ؟ فكنت أقول لهم : ان الغاية من المؤتمر سياسية وليست دينية ، لسبب بسيط ظاهر هو أن أكثر الأمم المحتلة من حدود الصين إلى الاطلنطي أمم إسلامية . وقلت لهم : إن العرب كتلة صغيرة فلما شعرت بضعف مركزها أرادت أن تحتمي بكتلة أكبر وهي الكتلة التي يسمونها الكتلة الإسلامية وهذه الكتلة ستصغر نفسها في القريب فتحتمي بكتلة أكبر وهي الكتلة الإفريقية الآسيوية وأخصها الهند والصين ، فالتكتل ليس دينياً وإنما هو تكتل أمم مغلوبة ضد الاستعمار .

— وفي هذه الفقرات يبدو واضحاً تأثر الدكتور زكي بك بحكاية الدين والسياسة ، وما بينهما من فوارق . وهي حكاية معروفة وما كانت لتلفت نظري لولا أن رجلاً في مثل فضل الدكتور زكي بك وعلمه يرددها بمثل هذه البساطة ، مما يدل على أن بعض الأوهام التي لا ظل لها

---

* الدعوة ٢٢/ ٤/١٩٥٢ .

من الحقيقة يمكن أن تشيع ، حتى لتدور على السنة العلماء والجهال سواء .

– وهي على أية حال فرصة للكلام عن حقيقة الكتلة الإسلامية كما يفهمها الداعون اليها أو كما يجب أن يفهموها .

– نكرر للمرة الألف ان الإسلام لا يعرف تلك الأسطورة التي تجعل الدين شيئاً والسياسة شيئاً آخر هذه الأسطورة التي وردت لنا فيما استوردناه من أوروبا . حيث لا يدينون بالمسيحية -- ولو نظرياً -- والمسيحية لا تحتوي شريعة ولا نظاماً اجتماعياً ولا نظاماً دولياً .

ومن ثم فهي مجرد عقيدة في الضمير . أما المجتمع بعلاقاته القانونية وعلاقاته الاجتماعية وعلاقاته الدولية فتنتظمها قوانين أخرى لا علاقة لها بالعقيدة المسيحية .. وعندئذ يقال : ان الدين شيء والسياسة شيء آخر وعندئذ تكون هناك مؤتمرات دينية ومؤتمرات سياسية .

في الإسلام يختلف الوضع .. فالإسلام عقيدة ينبثق منها نظام دولي ، ولا يمكن التفرقة بين ما هو دين وما هو سياسة وما هو اجتماع . لا إسلام بلا شريعة إسلامية ، وبلا نظام اجتماعي إسلامي و بلا علاقات دولية قائمة على أسس الإسلام هذه بديهة بالقياس إلى الإسلام لا تحتاج إلى علم غزير ولا تحتاج إلى بحث عميق .

ومن أعجب العجب أن يتصور كائن من كان أن هنالك فواصل في الإسلام بين الدين والحكم ، وبين الدين والسياسة أو بين الدين والنظام الاجتماعي أو بين الدين والعلاقات الدولية .

وأعجب العجب أن يقول أحد عن دولة من الدول انها مسلمة ولم تستمد قوانينها من الشريعة الإسلامية ، ولم تضع نظمها الاجتماعية على أساس إسلامي ولم تقم علاقاتها الدولية على دستور الإسلام .

وعندئذ يصبح قول الدكتور أحمد زكي بك «ان الغاية من المؤتمر

يجب أن تكون إسلامية وعندئذ تشمل العلاقات السياسية والنظم الاجتماعية والروابط الأخوية ، التي تجعل من المسلمين جميعاً أمة واحدة ووطناً واحد من اعتدى على شبر منه فقد اعتدى على الوطن الإسلامي كله ، ومن اعتدى على فرد فقد اعتدى على المسلمين جميعاً . وهذا هو الإسلام كما يفهمه دعاة الإسلام وليس هناك مدلول آخر في التفكير الإسلامي .

إن حقيقة الكتلة الإسلامية أعمق من مجرد التكتل لأهداف سياسية محدودة . انها الاحتجاج على فكرة واحدة ، منبعثة من حقيقة واحدة لتحقيق نظام اجتماعي ذي خصائص معينة ، تختلف اختلافاً كبيراً عن خصائص جميع النظم الأخرى السائدة في الأرض الآن والتي عرفتها البشرية فيما مضى من الزمان .

أما الخلاص من الاستعمار والكفاح ضد الاستعمار فهو نقطة واحدة في برنامج هذه الكتلة . نقطة مؤقتة كل قيمتها أن تحقيقها ضروري كي تقوم الكتلة الإسلامية برسالتها الإنسانية العالمية . وليست هي غاية الغايات وليست هي الهدف الأول والأخير . هذه الكتلة الإسلامية لا تتحقق إلا بتحقيق ذلك النظام الاجتماعي الذي يميزها عن الكتلة الغربية وعن الكتلة الشرقية على السواء وهذا النظام لا يمكن فصله من العقيدة الإسلامية ولا يتم تحقيقه إلا في ظل التشريع الإسلامي .

ومن ثم فلا بد أن يكون لهذه الكتلة الإسلامية كيان خاص ، وتشريع خاص ، ونظام خاص .

وليست مجرد مجموعة من الشعوب تتكتل سياسياً «تكتل أمم مغلوبة ضد الاستعمار» .

هذه الكتلة الإسلامية تملك أن تقيم علاقات دولية بينها وبين الأمم الإفريقية والآسيوية التي تكافح الاستعمار لأن هنالك غاية إنسانية عادلة

تلتقي عليها هي وهذه الأمم المكافحة ضد الاستعمار ولكن لا يمكن أن تندمج فيها .

فالإسلام يميز الأمة المسلمة بخصائصها ويحرم عليها الاندماج في الأمم التي لا تدين بنظامها الاجتماعي وعقيدتها الإسلامية . وان لم يحرم عليها أن تتعاون وإياها لتحقيق هدف إنساني عام . كذلك تملك الأقليات المختلفة أن تعيش في ظلها آمنة مطمئنة كما عاشت مئات الأعوام . إن الإسلام ينوط بالأمة المسلمة مهمة هائلة مهمة الوصاية على البشرية . وكفاح الظلم في الأرض . ووسيلة الأمة المسلمة لأداء هذا الواجب الضخم أن تكون كتلة واحدة تدين لعقيدة واحدة وتحكم بشريعة واحدة وتقيم نظاماً اجتماعياً واحداً .

وتدعو البشرية كافة إلى هذا النظام لا أن تخضع هي لمستعمر ، أو تستجلب لها نظاماً اجتماعياً من وراء الحدود .

وبعد فلقد آن أن نقول للمخدرين المتخوفين الذين يفرقون من كلمة دين ويحسبونها براعة دبلوماسية أو لباقة اجتماعية أن يتخففوا من هذه الكلمة الخطرة .

لقد آن لنا أن نقول لهم جميعاً : أيها السادة لقد انتهى دوركم ! فنحن نجهر بها كلمة صريحة واضحة لا تردد فيها ولا خفاء أن الإسلام هو الإسلام . نظام حكم ونظام اجتماع ونظام عالم . والدعوة الإسلامية تعني هذا كله ولا تتلعثم في اعلانه . والكتلة الإسلامية لا تتحقق إلا أن تصبغ كل عمل لها وكل هدف صبغة الله . ومن أحسن من الله صبغة .

لا نحب أن نجادل أحداً ولا أن نخادع أحداً من شاء أن يسالمنا على هذا الأساس فليسالم ومن شاء أن يخاصمنا على هذا الأساس فليخاصم . «والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون» .

فلنعرف من نحن *

في البلد اليوم لجان شتى تضع أسس المستقبل لهذا الشعب هنالك لجنة للدستور ولجنة لسياسة التعليم ولجنة لتنمية الاقتصاد القومي .. الخ هذه اللجان كلها في حاجة إلى أن تجيب أولاً على هذا السؤال من نحن ؟

هي في حاجة إلى أن تجيب على هذا السؤال قبل البدء في أية سياسة أو أية مشروع أو أي خطوة . فانه على ضوء هذه الاجابة يمكن تحديد الاجابة ورسم الخطة وبناء المشروعات ونوع هذه الاجابة يؤثر تأثيراً حاسماً في نوع السياسة والخطة والمشروعات .

من نحن ؟

هل نحن شعب منعزل وراء خط العرض ٢٣ ؟ هل نحن شعب حدوده هي حدود وادي النيل ؟ هل نحن شعب مصري عربي تربطه بالأمة العربية روابط ؟ وما نوع هذه الروابط ؟

هل نحن شعب مصري عربي إسلامي تربطه بالعالم الإسلامي روابط ؟ وما نوع هذه الروابط .

هذا كله من الناحية الجغرافية والدولية . وهناك مثل هذا من الناحية الاجتماعية المذهبية . فهل نحن شعب رأس مالي ؟

أم هل نحن شعب اشتراكي ؟ أم هل نحن شعب إسلامي ؟

---

* الدعوة ٢٤/٣/ ١٩٥٣ .

فهذه مذاهب اجتماعية لكل منها خطوطه الرئيسية ولكل منها مقوماته وخصائصه كذلك . ولهذه المقومات والخصائص أثرها في تحديد نوع الحكم وشكله في توزيع الثروة ، وفي علاقات الانتاج وفي مناهج التربية والتعليم ، وفي عقلية التشريع ومصادر التشريع .

وانه لمن العبث أن نحاول إعادة بناء وطن دون تحديد الخطوط الرئيسية لهذا البناء ، ودون أن نسأل أنفسنا عن نوع الوطن الذي نحاول بناءه ، ونوع المجتمع الذي نحاول انشاءه ، ونوع العقلية التي نعدها للحياة في هذا المجتمع .

إن الذي يحاول أن يبني بيتاً لا يبدأ في بنائه قبل أن يضع له تصميماً هندسياً فما بال من يحاول أن يبني وطناً وأن يربي شعباً ، وأن يرسم مستقبلاً ؟

من أجل هذا كانت الاجابة على ذلك السؤال هي حجر الزاوية في بناء المستقبل كله إذا نحن شئنا أن نضع حداً لسياسة الارتجال التي كانت طابع العهد الماضي وأن نميز العهد الجديد بطابع جديد .

هذه حقيقة وهناك حقيقة أخرى ينبغي أن يلتفت اليها الذين يحاولون الاجابة على ذلك السؤال أن هنالك واقعاً ثابتاً في حياة هذا البلد ليس من الحكمة تجاهله فتجاهله هو اصطدام بطبائع الأشياء هذا الواقع هو أن لهذا الشعب طابعاً معيناً ، وتاريخاً معيناً ، وعقائد معينة ، وفلسفة معينة ، وتصور للحياة معيناً كذلك فعند الاجابة على هذا السؤال لا يجوز تجاهل هذا كله ولا تجوز محاولة فرض فلسفة أجنبية على هذا الشعب ذلك أن مهمة واضع الدستور ، أو واضع سياسة التربية والتعليم ، أو واضع السياسة الاقتصادية ليست هي فرض عقائد وأفكار وفلسفات واتجاهات شخصية على مجموعة الشعب . إنما تنحصر مهمته في أمر واحد ، هو تحقيق شخصية الشعب

الأصيلة وتصوره الخاص للحياة في دستوره وفي سياسة تربيته وفي مشروعات اقتصاده .

وتجاهل هذه الحقيقة لا ينشئ إلا الشر مهما تكن الاتجاهات التي يراد فرضها طيبة في ذاتها لأن قوى الشعب الكامنة لا بد أن تعمل . ومحاولة كبتها أو قسرها على العمل ضد طبيعتها لا تنتج إلا الاصطدام بين هذه القوى وبين الاتجاهات الغريبة التي يراد فرضها .

كما أن تجاهل الوقائع الثابتة في حياة هذا الشعب لا يقابل منه إلا بالاعراض والنفور وإلا بالعزلة بين الضمير الشعبي والقائمين على التوجيه والتنفيذ وليس في هذا مصلحة لأحد من الحاكمين أو المحكومين .

ولقد كان مفهوماً أن تطرح لجنة الدستور ولجنة سياسة التعليم ولجنة تنمية الاقتصاد القومي . ذلك السؤال وأن تجيب عليه قبل أن تبدأ كل منهما عملها . فالحقوق الأساسية في الدستور واتجاه سياسة التربية واتجاه المشروعات الاقتصادية تتكيف قطعاً بنوع الاجابة باعتبار أن الدستور هو الذي يقرر العلاقات الأساسية بين المواطنين .

وهذه العلاقات تتأثر بالمذهب الاجتماعي الذي تعتنقه الدولة . وباعتبار أن التربية هي الوسيلة لإعداد الفرد المناسب للمجتمع الذي يتقرر شكله وباعتبار أن السياسة الاقتصادية ليست سوى تطبيق عملي للسياسة الاجتماعية .

وربما خطر ببال هذه اللجان الرئيسية أنه يمكن تجاهل هذه النقطة الرئيسية والمضي في العمل ثم تقرير هذه السياسة فيما بعد . ولكن هذا تصور ساذج ومعكوس للأمور لا يتفق مع خطورة عمل هذه اللجان . فان كل البحوث لا يمكن البدء بها قبل تقرير نوع الحكم وطبيعة الشعب وصبغة المجتمع الذي يراد رسم السياسة له وكل شيء يمكن استيراده من

الخارج إلا هذه الخطوط العريضة التي يجب أن تنبع من واقع كل شعب والتي لا يجدي فيها الترقيع من هنا ومن هناك .

وما تزال هذه اللجان في أول الطريق فمن الخير أن تتدارك ما فاتها . وأن تواجه الحقائق بشجاعة واخلاص وتجرد من الهوى الشخصي ذلك أن مستقبل أمة يستحق أن يتجرد كل إنسان من هواه الشخصي وأن يجعل الحكم في هذا لطبيعة الأمة ولواقعها الذي لا يمكن انكاره .

ان هذا الذي نقوله بديهيات ما كان يجوز أن نحتاج إلى الحديث عنها . ولكن ماذا نصنع إذا كانت البديهيات في هذا البلد تحتاج إلى الأخذ والرد والجدال الطويل .

أين الطريق؟*

يوماً بعد يوم يزيد يقيني بتلك العقيدة .. ان هذه الأمة لن تصل إلى شيء ذي قيمة إلا أن تربى أرواحها وعقولها وجسومها تربية سليمة . إلا أن يربى كل فرد منها في محضن هادئ ثابت ذي أهداف مرسومة ، إلا أن يصبح كل فرد فيها وحدة سليمة قوية ذات عقيدة وذات طريقة وذات ضمير .

ويوماً بعد يوم أفقد ثقتي بالحركات الشعبية الصاخبة والضجيج الذي يثور فجأة ثم يتبدد ويذهب .

إني أؤمن بالشعب وأؤمن بهذا الشعب المصري خاصة ولكن الظروف السيئة المحيطة بهذا الشعب لا تدع لخصائصه الطيبة أن تعمل وحدها . ان الف داء وداء تنخر في تكوين هذا الشعب .

لهذا يجب أن تتم تربيته تربية سليمة نظيفة لكي تعطي خصائصه الطيبة كل ثمارها .

ان ظروف هذا الشعب شاقة وطاحنة . وهو في حاجة إلى رصيد ضخم من القوة لكي يكافح هذه الظروف ويظهر عليها .

وهذه القوة لا تتوافر له الآن لأن ظروفه السيئة تحرمه اياها . وهكذا يدخل هذا الشعب الكريم ذو الخصائص العالية الأصيلة في حلقة مفرغة .

---

* الدعوة ١٩٥١/١١/٢٧ .

هو في حاجة إلى القوة ليكافح ظروفه السيئة ، وظروفه السيئة لا تسمح له بنيل هذه القوة .. هنا يجيء دور التربية الذاتية في محضن خاص يملك مقاومة المجتمع فالمجتمع عامل سيئ في هذه الظروف .

عامل قاتل ، عامل طاحن ، أما في المحضن الخاص . فهناك التربية السليمة الوطيدة . التربية التي تستجمع كل العوامل الطيبة وتجمع كل عناصر القوة وشيئاً فشيئاً يجد الفرد نفسه ويتجمع إلى الآخرين الذين يحسون نفس شعوره . ومن هنا تبرز قوة متكتلة لمكافحة الظروف السيئة وللتغلب على ضغط البيئة .

هنا تبرز عناصر المقاومة التي لا يطحنها المجتمع ، ولا تخضعها الظروف. لأنها متماسكة وذات هدف ولها طريقة .

وحول كل فكرة صالحة ، وكل مبدأ قويم ، ديدان كثيرة . ديدان العلق المتسلقة .. ولأن الشعب لم يتلق تربية سليمة ثابتة تجعل الأهداف واضحة في ضميره فإنه لا يدوس ديدان العلق ؛ لتحييها الأفكار الكريمة والمبادئ العظيمة . ولا يحطم الهازلين في موقف الجد والمستفضين في ساعة التضحية .

ديدان العلق هذه لما في طبيعتها من دودبة ولوثة ، لا تدع شيئاً نظيفاً مما يجب أن يظل نظيفاً . المقدسات كلها تلوث .. والعظائم كلها تصغر .. والحرمات كلها تهان .. وبذلك يسير الشعب إلى أكرم الغايات وهو ينقل أقدامه في الدنس والوحل ، ويخطو إلى أخطر الأهداف وهو يخلط ويهزل .

خذ مثلاً الكفاح الشعبي في معركة الحرية في هذه الأيام[1] هذا

---

(١) كان ذلك منذ ١٦ سنة .

الكفاح الذي كان جديراً بالجد والاهتمام والوقار ، وكان كفيلاً بالتطهير والارتفاع على المهازل والمساخر والمقاذر .

فماذا نرى ؟ نرى أخباراً في صحافة هذا البلد عن « كتيبة شكوكو» التي تغزو ميادين القاهرة ! وعن الفنانة «احسان عبده» التي تساهم في معركة التحرير ! وعن «الزعيمة درية شفيق» التي تلتصق بالرجال كتفاً إلى كتف.

وماذا تسمع ! تسمع من محطة الاذاعة المصرية أصواتاً رخوة مائعة تنضح بالرجس والدنس ، تلوك ألفاظ الوطنية وألفاظ الكفاح . كأنما كتب على هذا الشعب أن يتلقى الدعوة إلى الكفاح والجهاد من دنس المواخير وبألسنة الدعارة ، وبنغمات المخانيث !

ما هذا ؟ ما هذا ؟ ومن قال لهذا الشعب أنه يستطيع أن يدخل المعركة — معركة الحياة أو الموت بمثل هذه الميوعة في روحه وبمثل هذا الدنس في ضميره وبمثل هذا التفكك في كيانه ؟

إن الكفاح في حاجة إلى خشونة وفي حاجة إلى روح فدائية لا تنبع إلا من عقيدة .

فمن قال لهذا الشعب : انه يستطيع خوض معركة التحرير والفارغات العابثات من النسوة يتولين اشاعة الدنس في روحه وفي ضميره ؟ من قال لهذا الشعب أن يملك أن يخوض معركة التحرير بنفوس تنخرها الشهوات وأجساد تهيجها النزوات .

لقد رأيت بعيني في الاجتماع العام الذي عقدته لجنة الميثاق الوطني في قاعة المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين . رأيت فتى متحمساً لاقحام اسم امرأة في خطباء الحفل ولم يكن اسمها من بينهم لقد كان فتى واحداً ، كان مخموراً ، لقد احمرت عيناه من السكر . كانت رائحة فمه لا تطاق وهو الذي كانت الحماسة تقيمه وتقعده وتنقله من مكان إلى مكان ، لكي

يمكن لهذه المرأة من الخطابة ! لماذا هذا كله ؟

لأن مصر لن تكافح إلا أن تتلاصق الفارغات العابثات بالرجال في المظاهرات والاحتفالات لأن الفدائيين لن يذهبوا إلى حومة الكفاح إلا وفي أجسادهم شعلة من النزوات .

من قال لهذا الشعب : إن هذا هو الطريق ؟ لقد قال له ذلك أولئك الذين لا يهمهم إلا أن يتملقوا أخس الغرائز وأتفه النزوات . ولقد استمع الشعب إلى هذا الملق ، لأنه لم يتلق تربية سليمة ثابتة تعلمه الجد في مواطن الجد وتجعل له أهدافاً واضحة وطريقاً مرسوماً .

وهنا تبدو قيمة المحاضين الهادئة الثابتة التي تتولى الروح والفكر والجسد التي تساعد كل فرد على أن يتغلب على ضعفه لا أن يتملق فيه هذا الضعف.

والتي تهيئ لكل فرد أن يهتدي إلى خير ما في طبيعته من الخصائص الكريمة العالية ، لا أن يسير مغمض العينين في غمار الضجيج ! إن هنالك أمانة في عنق الزعماء في هذا الجيل الجديد الا يكونوا كمن سبقوهم من زعماء الجيل الذي شاخ أن يحاولوا تربية هذا الشعب لا إن يكون همهم كله منصرفاً إلى تمليق رغباته ونزعاته .. انه شعب طيب وشعب أصيل ، وشعب عريق ، ولكن مئات العوامل السيئة قد اصطلحت عليه .

ولا بد من اعادة بنائه بناء سليماً متيناً لنخوض معارك التحرير في صلابة .

انها ليست معركة واحدة إنما هي معارك شتى كثيرة ولن ينتصر فيها الشعب إلا إذا انتصر على ضعفه ، وانتصر على شهواته ، وانتصر على نزواته . وإلا إذا عرف الأهداف وعرف الطريق .

وأنا أعرف أنني أكلف الزعامات عنتاً ، ولكن ما من زعامة تستحق الاحترام إلا إذا كانت قادرة على أن ترفع اليها الشعب وتطهره ، لا أن

ترتكس هي معه أينما ارتكس بفعل العوامل السيئة التي تحيط به منذ مئات السنين .

نحن في حاجة إلى زعماء بلا مجد ، وبلا شهرة ، وبلا بريق ، في حاجة إلى جنود مجهولين ، في حاجة إلى فدائيين حقيقيين لا يعنيهم أن تصفق لهم الجماهير ، ولا يعنيهم أن تكون اسماؤهم على كل لسان وصورهم في كل مكان .. إنما يعنيهم شيء واحد أن يقوموا بتربية هذا الشعب واعداده اعداداً هادئاً ثابتاً مكيناً متيناً .

وإلى أن يوجد هؤلاء الزعماء وإلى أن يكثر المتخرجون في محاضن التطهير والتقويم .. إلى أن يوجد هؤلاء وهؤلاء ، فنحن لا ندعو إلى الصمت والسكون والانتظار .. كلا كلا إن عجلة الحوادث أسرع من الانتظار .

فليمض كل في طريقه . وليتحرك هذا الشعب وليعمل نعم ليعمل رغم جميع الأخطار . ورغم استغلال المهرجين والطبالين والزمارين والمستنفعين والمتمحلين لعواطفه .

ولكن ليكن هذا الشعب على ثقة أن النصر الحقيقي لن يتم له إلا أن يتطهر . وإلا أن تكون له قيادة روحية تحاول رفعه إليها . وتعمل على تربيته تربية كاملة ، قيادة ذات هدف أبعد من استرضاء الجماهير ، ومن تملق الجماهير هدف ثابت تتجه اليه في قوة وفي ثقة وفي يقين حتى ولو انصرفت عنه الجماهير !

وهذا هو الطريق ...

إلى المتثاقلين عن الجهاد

« يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل» .

إن الجهاد فريضة على المسلمين حتى ولو كان عدد أعدائهم أضعاف عددهم وأنهم منصورون بعون الله على أعدائهم . وأن الواحد منهم كفء لعشرة من الأعداء . وكفء لاثنين في أضعف الحالات . وفريضة الجهاد إذن لا تنتظر تكافؤ القوى الظاهرة بين المؤمنين وعدوهم . فحسب المؤمنين أن يعدوا ما استطاعوا من القوى . وأن يثقوا بالله . وأن يثبتوا في المعركة ويصبروا عليها . والبقية على الله . ذلك أنهم يملكون قوة أخرى غير القوى المادية الظاهرة .

«يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم : انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الدنيا في الآخرة إلا قليل ، إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ، ويستبدل قوماً غيركم ، ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير» .

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم قد جمعوا له على أطراف الجزيرة بالشام وأن هرقل قد رزق أصحابه رزق سنة . وانضمت اليهم لخم وجذام وعاملة وغسان من قبائل العرب فاستنفر الناس إلى قتال الروم وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ قلما يخرج إلى غزوة إلا ورّى بغيرها مكيدة

من الحرب ، إلا ما كان من هذه الغزوة[1] فقد صرح بها لبعد الشقة وشدة الزمان إذ كان ذلك في شدة الحر حين طابت الظلال وأينعت الثمار وحبب إلى الناس المقام . عندئذ بدأت تظهر في المجتمع المسلم أعراض تهيب وتردد ، كما وجد المنافقون فرصتهم للتخذيل فقالوا : لا تنفروا في الحر ، وخوفوا الناس بعد الشقة وحذروهم بأس الروم وكان لهذه العوامل المختلفة أثرها في تثاقل بعض الناس عن النفرة .

وهُدد المتخلفون بعاقبة التثاقل عن الجهاد في سبيل الله ، والتذكير لهم بما كان من نصر الله لرسوله ، قبل أن يكون معه منهم من أحد ، وبقدرته على إعادة هذا النصر بدونهم فلا ينالهم عندئذ إلا إثم التخلف والتقصير .

إنها ثقلة الأرض ، ومطامع الأرض ، وتصورات الأرض ، ثقلة الخوف على الحياة ، والخوف على المال ، والخوف على اللذائذ والمتاع ، ثقلة الدعة والراحة والاستقرار ، ثقلة الذات الفانية والأجل المحدود والهدف القريب ، ثقلة اللحم والدم والتراب .

إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض ، وارتفاع على ثقلة اللحم والدم ، وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان ، وتغليب لعنصر الشوق المجنح في كيانه على عنصر القيد والضرورة ، وتطلع إلى الخلود الممتد ، وخلاص من الفناء المحدود .

وما يحجم ذو عقيدة في الله عن النفرة للجهاد في سبيله ، إلا وفي العقيدة دخل ، وفي إيمان صاحبه بها وهن ، لذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من شعب النفاق » . فالنفاق — وهو دخل من العقيدة يعوقها عن

---

(١) تبوك .

الصحة والكمال – هو الذي يقعد بمن يزعم أنه على عقيدة من الجهاد في سبيل الله خشية الموت أو الفقر ، والآجال بيد الله والرزق من عند الله ، وما متاع الحياة الدنيا من الآخرة إلا قليل .

«إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ، ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير» .

والخطاب لقوم معينين في موقف معين ، ولكنه عام في مدلوله لكل ذوي عقيدة في الله ، والعذاب الذي يتهددهم ليس عذاب الآخرة وحده فهو كذلك عذاب الدنيا ، عذاب الذلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح والغلبة عليهم للأعداء ، والحرمان من الخيرات ، وهم مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد ويقدمون على مذبح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الفداء ، وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء .

* * *

«لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ، ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون» .

لو كان الأمر عرض قريب من أعراض هذه الأرض ، وأمر سفر قصير الأمد مأمون العاقبة لاتبعوك ! ولكنها الشقة البعيدة التي تتقاصر دونها الهمم الساقطة والعزائم الضعيفة ، ولكنه الجهد الخطر الذي تجزع منه الأرواح الهزيلة والقلوب المنخوبة .. ولكنه الأفق العالي الذي تتخاذل دونه النفوس الصغيرة والبنية المهزولة .

فكثيرون هم أولئك الذين يتهاوون في الطريق الصاعد إلى الآفاق

الكريمة ، كثيرون أولئك الذين يجهدون لطول الطريق فيتخلفون عن الركب ويميلون إلى عرض تافه أو مطلب رخيص كثيرون تعرفهم البشرية في كل زمان ومكان ، فما هي قلة عارضة إنما هو النموذج المكرور .

وإنهم يعيشون على حاشية الحياة وإن خُيِّل إليهم أنهم بلغوا منافع ونالوا مطالب ، واجتنبوا أداء الثمن الغالي ، فالثمن القليل لا يشتري سوى التافه الرخيص .

* * *

ولقد كان بعض هؤلاء المعتذرين المتخلفين قد عرض ليمسك العصا من الوسط على طريقة المنافقين في كل زمان ومكان فردّ الله عليهم مناورتهم وكلف رسوله أن يعلن أن إنفاقهم غير مقبول عند الله لأنهم إنما ينفقون عن رياء وخوف لا عن إيمان وثقة ، وسواء بذلوه عن رضا منهم بوصفه ذريعة يخدعون بها المسلمين أو عن كره خوفاً من انكشاف أمرهم فهو في الحالتين مردود لا ثواب له ولا يحسب لهم عند الله .

إن هؤلاء لهم نموذج لضعف الهمة وطراوة الإرادة ، وكثيرون هم الذين يشفقون من المتاعب وينفرون من الجهد ، ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم ، ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز ، وهم يتساقطون إعياء خلف الصفوف الجادة الزاحفة العارفة بتكاليف الدعوات ، ولكن هذه الصفوف في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك لأنها تدرك بفطرتها أن كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان وأنه ألذ وأجمل من القعود والتخلف والراحة البليدة التي لا تليق بالرجال .

إن الدعوات في حاجة إلى طبائع صلبة مستقيمة ثابتة مصممة تصمد في الكفاح الطويل الشاق ، والصف الذي يتخلله الضعاف المسترخون لا يصمد لأنهم يخذلونه في ساعة الشدة فيشيعون فيه الخذلان والضعف

والاضطراب فالذين يضعفون ويتخلفون يجب نبذهم بعيداً عن الصف وقاية له من التخلخل والهزيمة ، والتسامح مع الذين يتخلفون عن الصف ساعة الشدة ثم يعودون إليه في ساعة الرخاء جناية على الصف كله وعلى الدعوة التي يكافح في سبيلها كفاحه المرير .

* * *

إن وراء حب الدعة وإيثار السلامة ، سقوط الهمة ، وذلة النفس وانحناء الهامة والتهرب من المواجهة .

* * *

في معترك الحياة ومصطرع الأحداث كانت الشخصية المسلمة تصاغ ويوماً بعد يوم وحدثاً بعد حدث كانت هذه الشخصية تنضج وتنمو وتتضح سماتها وكانت الجماعة المسلمة التي تتكون من تلك الشخصيات تبرز إلى الوجود بمقوماتها الخاصة وقيمها الخاصة وطابعها المميز بين سائر الجماعات .

وكانت الأحداث تقسو على الجماعة الناشئة حتى لتبلغ أحياناً درجة الفتنة وكانت فتنة كفتنة الذهب تفصل بين الجوهر الأصيل والزبد الزائف وتكشف عن حقائق النفوس ومعادنها فلا تعود خليطاً مجهول القيم .

وكان القرآن الكريم يتنزل في إبان الابتلاء أو بعد انقضائه يصور الأحداث ويلقي الأضواء في منحنياتها وزواياها فتنكشف المواقف والمشاعر والنوايا والضمائر ، ثم يخاطب القلوب وهي مكشوفة النور عارية من كل رداء وستار ، ويلمس فيها مواضع التأثر والاستجابة ويربيها يوماً بعد يوم وحادثاً بعد حادث ويرتب تأثراتها واستجاباتها وفق منهجه الذي يريد .

ولم يترك المسلمون لهذا القرآن يتنزل بالأوامر والنواهي وبالتشريعات والتوجيهات جملة واحدة ، إنما أخذهم الله بالتجارب والابتلاءات ،

والفتن والامتحانات ، فقد علم الله أن هذه الخليقة البشرية لا تصاغ صياغة سليمة ولا تنضج نضجاً صحيحاً ، ولا تصح ولا تستقيم على منهج إلا بذاك النوع من التربية التجريبية الواقعية التي تحفر في القلوب وتنقش في الأعصاب وتأخذ من النفوس وتعطي في معترك الحياة ومصطرع الأحداث ، أما القرآن فيتنزل ليكشف لهذه النفوس عن حقيقة ما يقع ودلالته ، وليواجه تلك القلوب وهي منصهرة بنار الفتنة ساخنة بحرارة الابتلاء قابلة للطرق مطاوعة للصياغة .

إن الله لم يدع المسلمين للمشاعر وحدها تربيهم وتنضج شخصيتهم المسلمة ، بل أخذهم بالتجارب الواقعية والابتلاءات التي تأخذ منهم وتعطي ، وكل ذلك لحكمة يعلمها وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير وهذه هي التربية الحقيقية .

هذه الحكمة تستحق أن نقف أمامها طويلاً ، ندركها ونتدبرها ، ونتلقى أحداث الحياة وامتحاناتها على ضوء ذلك الإدراك وهذا التدبير .

حكمة التربية بالجهاد في سبيل الله .

إن قدر الله هو المسيطر على الأحداث والمصائر يدفعها في الطريق المرسوم ، وينتهي بها إلى النهاية المحتومة . والموت أو القتل قدر لا مفر من لقائه في موعده لا يستقدم لحظة ولا يستأخر . ولن ينفع الفرار من دفع القدر المحتوم عن فارّ فإذا فروا فإنهم ملاقون حتفهم المكتوب في موعده القريب وكل موعد في الدنيا قريب ، وكل متاع فيها قليل ، ولا عاصم من الله ولا من يحول دون نفاذ مشيئته سواء أراد بهم سوءاً أو أراد بهم رحمة ولا مولى لهم ولا نصير من دون الله يحميهم ويمنعهم من قدر الله .

* * *

نعم : إن هناك ضعفاً في البشر . ولا يملك الناس أن يتخلصوا من

ضعف البشر ، ومشاعر البشر وليس مطلوباً منهم أن يتجاوزوا حدود جنسهم البشري ولا أن يخرجوا من إطار هذا الجنس ويفقدوا خصائصه ومميزاته فلهذا خلقهم الله ليبقوا بشراً ولا يتحولوا جنساً آخر لا ملائكة ولا شياطين ولا بهيمة ولا حجراً .

إن الناس يفزعون ويضيقون بالشدة ويزلزلون للخطر الذي يتجاوز الطاقة ولكن المؤمنين – مع كل ذلك – مرتبطون بالعروة الوثقى التي تشدهم إلى الله وتمنعهم من السقوط وتجدد فيهم الأمل وتحرسهم من القنوط .

وحين نرانا ضعفنا مرة ، أو زلزلنا مرة ، أو فزعنا مرة أو ضقنا بالهول والخطر والشدة والضيق فعلينا ألا نيأس من أنفسنا وألا نهلع ونحسب أننا هلكنا ، أو أننا لم نعد نصلح لشيء عظيم أبداً . ولكن علينا في الوقت ذاته ألا نقف إلى جوار ضعفنا نمجده لأنه من فطرتنا البشرية . ونصر عليه لأنه يقع لمن هم خير منا ، .. هنالك العروة الوثقى ، عروة السماء ، وعلينا أن نستمسك بها لننهض من الكبوة ، ونسترد الثقة والطمأنينة ، ونتخذ من الزلزال بشيراً بالنصر فنثبت ونستقر ، ونقوى ونطمئن ، ونسير في الطريق .

وهذا هو التوازن الذي صاغ ذلك النموذج الفريد في صدر الإسلام النموذج الذي يذكر عنه القرآن الكريم مواقفه الماضية وحسن بلائه وجهاده وثباته على عهده مع الله فنهم من لقيه ومنهم من ينتظر أن يلقاه .

«من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا» .

* * *

واستعلاء المؤمن على الضعف البشري حين ينهض للجهاد في سبيل الله أمر ممكن وقد وقع فعلاً :

«إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون» .

إنه نص رهيب !! إنه يكشف عن حقيقة العلاقة التي تربط المؤمنين بالله وعن حقيقة البيعة التي أعطوها ـ بإسلامهم ـ طوال الحياة فمن بايع هذه البيعة ووفى بها فهو المؤمن الحق الذي ينطبق عليه وصف «المؤمن» وتتمثل فيه حقيقة الإيمان ، وإلا فهي دعوى تحتاج إلى التصديق والتحقيق .

حقيقة هذه البيعة ـ أو هذه المبايعة كما سماها الله كرماً منه وفضلاً وسماحة أن الله ـ سبحانه ـ قد استخلص لنفسه أنفس المؤمنين وأموالهم فلم يعد لهم منها شيء لم يعد لهم أن يستبقوا منها بقية لا ينفقونها في سبيله لم يعد لهم خيار في أن يبذلوا أو يمسكوا ... كلا .. إنها صفقة مشتراة لشاريها أن يتصرف بها كما يشاء ، وفق ما يفرض ووفق ما يحدد وليس للبائع فيها من شيء سوى أن يمضي في الطريق المرسوم لا يتلفت ولا يتخير ولا يناقش ولا يجادل ولا يقول إلا الطاعة والعمل والاستسلام ... والثمن هو الجنة والطريق هو : الجهاد والقتل والقتال والنهاية : هي النصر والاستشهاد .

عونك اللهم ! فإن العقد رهيب ... وهؤلاء الذين يزعمون أنفسهم «مسلمين» في مشارق الأرض ومغاربها قاعدون لا يجاهدون لتقرير الوهية الله في الأرض وطرد الطواغيت الغاصبة لحقوق الربوبية وخصائصها في حياة العباد .. ولا يقتلون ولا يقتلون ولا يجاهدون جهاداً ما دون القتل والقتال .

إنها بيعة رهيبة ـ بلا شك ـ ولكنها في عنق كل مؤمن ـ قادر عليها ـ لا تسقط عنه إلا بسقوط إيمانه .

ومن هنا تلك الرهبة التي استشعرها وأنا أخط هذه الكلمات .

إن الجهاد في سبيل الله بيعة معقودة بعنق .. كل مؤمن على الإطلاق منذ كانت الرسل ومنذ كان دين الله .

* * *

والمتخلفون عن الجهاد يخلعون هذه البيعة عن أعناقهم ذلك أنهم ناكلون متثاقلون لا يؤدون حق الله عليهم وقد أغناهم وأقدرهم ولا يؤدون حق الإسلام وقد حماهم وأعزهم ولا يؤدون حق المجتمع الذي يعيشون فيه وقد أكرمهم وكفلهم ومن ثم يختار الله ـ سبحانه ـ لهم هذا الوصف : «رضوا بأن يكونوا مع الخوالف» .

فهو سقوط الهمة ، وضعف العزيمة ، والرضا بأن يكونوا مع النساء والأطفال والعجزة الذين يخلفون في الدور لعجزهم عن تكاليف الجهاد وهم معذورون .. أما أولئك فما هم بمعذورين !

وما يؤثر الإنسان السلامة الذليلة والراحة البليدة إلا وقد فرغت نفسه من دوافع التطلع والتذوق والتجربة والمعرفة فوق ما فرغت من دوافع الوجود والشهود والتأثر والتأثير في واقع الحياة وإن بلادة الراحة لتغلق المنافذ والمشاعر وتطبع على القلوب والعقول والحركة دليل الحياة ومحرك في الوقت ذاته للحياة ، ومواجهة الخطر تستثير كوامن النفس وطاقات العقل وتشد العضل وتكشف عن الاستعدادات المخبوءة التي تنتفض عند الحاجة ، وتدرب الطاقات البشرية على العمل وتشحذها للتلبية والاستجابة وكل أولئك الوان من العلم والمعرفة والتفتح يحرمها طلاب الراحة البليدة والسلامة الذليلة .

* * *

إنهما طبيعتان ... طبيعة النفاق والضعف والاستخذاء ... وطبيعة

الإيمان والقوة والبلاء ... وإنهما خطتان .. خطة الالتواء والتخلف والرضى بالدون وخطة الاستقامة والبذل والكرامة فإذا أنزلت سورة تأمر بالجهاد جاء أولو الطول والمقدرة الذين يملكون وسائل الجهاد والبذل جاءوا لا ليتقدموا الصفوف كما تقتضيهم المقـدرة التي وهبها الله لهم ، وشكر النعمة التي أعطاها الله إياهم ولكن ليتخاذلوا ويعتذروا ويطلبوا أن يقعدوا مع النساء لا يذودون عن حرمة ولا يدفعون عن سكن دون أن يستشعروا ما في هذه الفعلة الذليلة من صغار وهوان ما دام فيها السلامة .

وطلاب السلامة لا يحسون بالعار فالسلامة هدف الراضين بالدون !

فهـــرس

من كتب دار الشروق الإسلامية

القضاء والقدر
فضيلة الشيخ متولي الشعراوي

قضايا إسلامية
فضيلة الشيخ متولي الشعراوي

التعبير الفني في القرآن
الدكتور بكري الشيخ أمين

أدب الحديث النبوي
الدكتور بكري الشيخ أمين

الإسلام في مواجهة الماديين والملحدين
الأستاذ عبد الكريم الخطيب

اليهود في القرآن
الأستاذ عبد الكريم الخطيب

أيام الله
الأستاذ عبد الكريم الخطيب

مسلمون وكفى
الأستاذ عبد الكريم الخطيب

الدعوة الوهابية
الأستاذ عبد الكريم الخطيب

قال الأولون ـ أدب ودين
الأستاذ السيد أبو ضيف المدني

قل يا رب
الأستاذ السيد أبو ضيف المدني

الإيمان الحق
المستشار علي جريشة

الجديد حول أسماء الله الحسنى
الأستاذ عبد المغني سعيد

الجائز والممنوع في الصيام
الدكتور عبد العظيم المطعني

مناسك الحج والعمرة في ضوء المذاهب الأربعة
الدكتور عبد العظيم المطعني

أيها الولد المحب
الإمام الغزالي

الأدب في الدين
الإمام الغزالي

شرح الوصايا العشر
للإمام حسن البنا

القرآن والسلطان
الأستاذ فهمي هويدي

خفايا الإسراء والمعراج
الأستاذ مصطفى الكيك

الخطابة وإعداد الخطيب
الدكتور عبد الجليل شلبي

تاريخ القرآن
الأستاذ إبراهيم الأبياري

الإسلام والمبادئ المستوردة
الدكتور عبد المنعم النمر

سلسلة أعلام الإسلام ١٦/١

سلسلة أهل البيت ٦/١

إسهام علماء المسلمين في الرياضيات
تأليف الدكتور علي عبد الله الدفّاع
تعريب وتعليق الدكتور جلال شوقي
مراجعة الدكتور عبد العزيز السيد

الخبر الواحد في السنة والتراث وأثره في الفقه الإسلامي
الدكتورة سهير رشاد مهنا

الأديان القديمة في الشرق
دكتور رؤوف شلبي

رقم الإيداع ١٦٧١ ٨٨
الرقيم الدولى . ٩ - ١٧٨ - ١٤٨ - ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسنى - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
بيروت: ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣



في ظلال القرآن
العدالة الاجتماعية في الإسلام
خصائص التصور الإسلامي ومقوماته
النقد الأدبي أصوله ومناهجه
كتب وشخصيات
الإسلام ومشكلات الحضارة
التصوير الفني في القرآن
مشاهد القيامة في القرآن
معركتنا مع اليهود
تفسير سورة الشورى
تفسير آيات الربا
دراسات إسلامية
السلام العالمي والإسلام
معركة الإسلام والرأسمالية
في التاريخ فكرة ومنهاج
معالم في الطريق
هذا الدين
المستقبل لهذا الدين
نحو مجتمع إسلامي